سنا المعاني الإيمانية
من كتاب المدهش

إعداد
عبد الحميد جاسم البلالي



سنا المعاني الإيمانية
من كتاب المدهش

إعداد
عبد الحميد جاسم البلالي


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

في مطلع الثمانينات من القرن الماضي وقع في يدي كتاب «**المدهش**» للإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن والمشهور بابن الجوزي، والذي تجاوزت مؤلفاته ثلاثمئة مصنف في جميع المجالات، فقد كان له عدة مؤلفات في كل مجال. لقد كان موسوعياً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، وعندما بدأت بقراءة أحد كتبه في مجال الرقائق والمواعظ، وهو كتاب «**المدهش**» أدركت أنني أمام قامة عظيمة، وطود أشم من عمالقة العلم، فقد أبهرتني عباراته، وقدرته الفائقة لاستخلاص المعاني، وتمكنه اللغوي، وكأنه كان يمسك بيدي ليأخذني في نزهة في رياض فنون الأدب واللغة العربية المتعددة، من روضة المحسنات اللفظية، و إلى روضة المحسنات البديعية، إلى روضة الجناس، إلى روضة الطباق، و الى روضة السجع، ثم روضة المقابلة، و روضة البلاغة، و روضة الشعر، ثم روضة الحكم والأمثال، روضة الاشتقاقات، ثم روضة الحوار، و روضة البديع، و أخيراً

روضة الإسقاطات الرائعة، لقد كان كتاب «**المدهش**» منهاج تربوي ايماني، متكامل يشمل :

- حقيقة الهدف الذي خلق الإنسان من أجله،
- ووظيفته الحقيقية في هذه الدنيا،
- والتحديات التي تعترضه أثناء الطريق،
- والتي من أبرزها :«الهوى، والنفس الأمارة، والشيطان، واللذات والشهوات»،
- ويشمل ذكر وسائل النجاة.

لم يكن «**المدهش**» كتاباً عادياً كسائر الكتب، تستطيع أن تقرأ الكثير من الصفحات وتصفحها خلال زمن وجيز، بل كان يضطرك أن تنتظر ربما أمام كلمة أو عبارة أو معنى، أو حكمة، أو حوار، أو مثل، أو اشتقاق، أو بيت شعر، أو حديث أو آية، الزمن الطويل، أو ربما يوماً أو يومين، تتأمل وترجع إلى بعض المراجع للوصول إلى ما كان يريده الإمام ابن الجوزي من تلك العبارة، ويزيد في صعوبة فهم الكثير من هذا الجيل، عمق العبارة، ومفردات عربية لا تستعمل هذه الأيام في مثل هذا الجيل، وبعد مضى أكثر من أربعين عاماً

من قراءتي الأولى عزمت على إعادة قراءة كتاب «**المدهش**»، فوجدت معان لم أكن أفقهها عندما كنت شاباً صغيراً، ومتعة أضعاف أضعاف متعتي في بداية قراءة الكتاب في مطلع الثمانينات، وفهماً أعمق من ذي قبل، بسبب التقدم بالعمر والخبرة في الحياة، فعزمت على كتابة كتاب جديد استخلص من كتاب «**المدهش**» الفوائد الجمة، والإسقاطات التربوية والدعوية والإيمانية، التي يحتاجها هذا الجيل، خاصة جيل الدعوة، ووضعت عنواناً لكل فائدة، وشرحت ما يحتاج إلى الشرح، وميزت كلامي عن كلام الإمام ابن الجوزي بإظهار كلامه باللون الأزرق، وكلامي باللون الأسود.

ولن يندم من يقرأ هذا الكتاب، بل سيشعر كما شعرت بأنها رحلة في رياض الإمام ابن الجوزي يطوف بك خلالها على الكثير الكثير من مناظر الجمال التي لم تراها من قبل. وأسميته «**سنا المعاني الإيمانية من كتاب المدهش**».

سائلاً المولى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لمن قرأه، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينشر هذا

الكتاب بقدرته ليطوف حول العالم، يترجم لعدة لغات، ليقرأه القاصي و الداني، ويفتح منه قلوب قد أغلقت، ويكسر به قلوباً قد غطاها الران، ويجلي معانٍ كانت غائبة على من تنكب الطريق، فتتبرز له هذه الكلمات ليبصر الطريق من جديد، فيعود على الصراط المستقيم.

شرف المطلوب

عندما تكون الاهداف عظيمة، لا يسهل منالها، بل دونها التعب والجهد المتواصل، والطريق الطويل، كذلك الجنة، فالفوز بها ليس بالأمر الهين، بل تحتاج الى الصبر والمصابرة على طريقها الطويل، يقول ابن الجوزي: «**كلما شرف المطلوب طال طريقه**».

هل تدرك قدرك وقيمتك؟

يقول ابن الجوزي: «**يا هذا ينبغي ان تكون همتك على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته، انما خلقت الدارين لأجلك**» ولكن معظم الناس لا يعرفون قدرهم، فيهينون انفسهم ويدفعونها بالارتماء في احضان شياطين الانس والجن.

عندما تلقب بالجبان

تخيل ان تلقب بالجبان او عبد الدينار والشهوة، او الفاسد، لأنك استسلمت لهواك، فاصبح هو الذي يقودك وليس انت، بأي شعور ستعيش بين الناس؟

هذا مصير من لا يحارب هواه، ففي هذه الدنيا، اما ان تكون عبداً لهواك فتعيش ذليلاً، واما عبداً لله فتسعد بالعزة والكرامة.

يقول ابن الجوزي: «**اسمع يا من لا يحارب الهوى ولا ساعة، فلو فاتتك الغنائم وحدها، قرب الامر، وانما لقب جبان قبيح**» هل يدرك عبيد الشهوة هذا البعد الذي اشار اليه ابن الجوزي ؟؟

اما تستحي من الله ؟

يقول ابن الجوزي : «**سبحان من اختارك على الكل، وجادل عنك الملائكة قبل وجودك، (اني اعلم)، خلق سبعة ابحر، واستقرض منك دمعة، له ملك السموات والارض، واستقرض منك حبة**» ذلك هو الران الذي سد جميع مسام الاحساس.

ويقول ابن الجوزي : «**ويحك، لو عرفت قدر نفسك ما اهنتها بالمعاصي، انما ابعد الله ابليس لأجلك، لأنه لم يسجد لك، فالعجب منك، كيف صالحته وهجرت ربك ؟!**» فالكريم هو من يثمر فيه المعروف، واللئيم من يضيع فيه اطنان المعروف».

ولى سلطان الشباب

حقاً ان للشباب سلطان، وايما سلطان ! حيث يشعر الشباب بقمة الحيوية والنشاط، وتدفق القدرة العضلية

والعقلية، فكيف اذا زال هذا السلطان ؟؟.

يقول ابن الجوزي : «**ويحك سلطان الشباب قد تولى، وأمير الضعف قد تولى، ومعول الكِبَر يعرقب حيطان دار الاجل**» فحتى متى تؤجل توبتك واستقامتك ؟؟.

مناجاة ملوك الدجى

(دجى الليل) اي سواد الليل وظلمته، واشد الليل ظلمة تلك التي تسبق الفجر، فمن منتصفه الى آخره يسمى (دجى) واعلى الناس همة وايماناً وتقرباً اولئك الذين يحيون الليل بالقيام ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] انهم يركزون على هذه الفترة لان الله ينزل فيها، ويستقبل السائلين والمستغفرين.

يعلمون أن ربهم ينزل الى السماء الاولى في الثلث الاخير من الليل، يشرح ابن الجوزي حالهم فيقول : «**لو رايتهم في الدجى، يراعون النجوم، وخيل الفكر قد قطعت حلبات الهموم، يشكون جرح الذنوب، ويبكون الكُلوم - الجروح -**» هذا حالهم مع

(١) الفرقان: ٦٤

ربهم، انهم ملوك الليل، ومن يملك ما يملكون ؟.

هل علمت من انت ؟

يقول ابن الجوزي: «**الحيوان المميز على ثلاثة اقسام: فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه، والشياطين من كدر لا صفاء فيه، والبشري مركب من الضدين**» فيستطيع اختيار الشر فيكون مع زمرة الشياطين، أو الخير فيكون اقرب الى زمرة الملائكة أو أفضل منهم.

● **مررت في ثلاثة مراحل:**

★ في الذر قبل الخلق.

★ بعد الولادة الى الموت.

★ ما بعد الموت.

فالناجح من تذكر ما قبل الوجود وما بعد الموت فاستعد لما بعد الموت.

يقول ابن الجوزي: «**يا معدوما في الامس، فانياً في الغد، عاجزاً في الحال، من انت ؟ حتى تغتر بسلامتك، وتنسى حتفك، واملك بين يديك، واجلك خلفك**».

سبب النسيان

يقول ابن الجوزي: «**سبب النسيان أمراض من التخليط في مطاعم الهوى، عقدت بخاراً في هام الفهم، فاذا عالجها طبيب الرياضة تحللت**» نعم فالمعاصي من ابرز اسباب نسيان الكثير من الطاعات، ومنها القرآن، فاذا ما عالج نفسه بالتوبة عادت القوة للذاكرة.

حرر قلبك من السجن

قالوا قديماً (الطبع يغلب التطبع) ويصدق هذا القول فيمن رضي بان يكون الطبع يغلب الايمان وقول الرحمن، ومثل هذا يبقى قلبه سجينا حتى يفارق الحياة، يقول لمثله ابن الجوزي: «**قلبك محبوس في سجن طبعك، مقيد بقيود جهلك**».

من اراد ان يخلص قلبه من سجن الطبع والجهل، فلا يتم هذا التحرير بالتمني والاحلام، بل بالعزم والجد، واتخاذ القرار الحاسم، يقول ابن الجوزي: «**البس لأمة عزمك، وسر بجند جدك، اعلم تخلص هذا المسلم من ايدي الفراعنة**» فسمى الطبع والجهل بالفراعنة.

متى يبدأ استيقاظك ؟

لكل انسان فترة استيقاظ يعرف خلالها حقيقة الحياة، وهدف الخلق، فينطلق في فضاء الدنيا ليملأ صفحاته، قبل ان ينادى بالرحيل، ومعظم الناس لا يستيقظ الا بعد فوات الاوان، وهو ينازع الموت، وأبرز امنياته في تلك اللحظات ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾[(١)] فيأت الجواب ﴿كَلَّآۚ﴾ .

القليل في هذه الدنيا من يستيقظ قبل الموت، وتصيبه رعشة الافاقة من الغفلة، فينطلق يسابق الزمن، وتكون الهمة والعزم هي العنوان الذي يصبغ حياته، فلا عزم الا بعد الاستيقاظ، يقول ابن الجوزي : «**طلعت شمس العزيمة في نهار اليقظة**».

متى تهدم وثنك ؟

تكثر أوثان الهوى في مرحلة الشباب، ويخر لها كثير من الشباب ساجدين، الا اولئك الذين تجاوزت هممهم جواذب الهوى فقاموا بهدمها. يقول ابن الجوزي : «**الهوى وثن ينصب في جاهلية الشباب، فان صح اسلام العزم جعل اصنام الشهوات جذاذاً**».

---

(١) المؤمنون: ١٠٠



عذوبة راحة القلب

كل كلام زائد عن الحاجة فهو فضول، بعضه فيه ضرر والبعض الاخر مباح لا فائدة منه، ولا يبنى عليه عمل او فائدة، والقلب يطرب للكلام النافع الذي له صلة بالوحي ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] ويضطرب ويحزن للكلام الجارح، كالسب والقذف والاستهزاء وكلام الكفر، وما اتصل بذلك.

الفضول هو كل أمر زائد عن الحاجة، ولا فائدة من الاتيان به، بل ربما يكون ضاراً في أغلب الاحيان، وخاصة في الكلام، وكل كلام لا يبنى عليه عمل فهو فضول، يقول ابن الجوزي : «**من قطع فضول الكلام بشفرة الصمت، وجد عذوبة الراحة في القلب**».

شهواتها جيف

لو تذكر الانسان ان كل ما على الارض سيتحول الى جيف فانية، لما دخل في حروب وخصومات، وقطيعة رحم، ومحاكم من اجل شهوة زائلة، ستؤول الى جيفة،

---

(١) الرعد: ٢٨

يقول ابن الجوزي : «**اي قدر للدنيا ؟ حتى يحتاج قلبك الى محاربة لها، اما علمت ان شهواتها جيف ملقاة**».

روضة الاستقامة

من اراد دوام الاستقامة حتى النهاية، عليه بمداومة التطهير أولاً بأول، وذلك بدوام الشعور بمراقبة الله بالسر والعلن، يقول ابن الجوزي : «**من حصد عشب الذنوب بمنجل الورع، طالت له روضة الاستقامة**».

القاعدون عن المعالي

لا تتذمر ايها القاعد الكسول، ولا تلوم الا نفسك عندما تعرض الاعمال يوم القيامة، فساعات الدنيا كانت فرصتك للنجاة، ورفع الدرجات، يناديك ابن الجوزي«**ايها القاعد عن اعالي المعالي، سبق الابطال، والبطّال ما يبالي، ستعرف خبرك، وستقول عند الحساب، مالي مالي**».

أما آن لك ان تتوب ؟؟

- كم مضى من عمرك وانت غارق في بحر المعاصي ؟
- وكم تعاليت عن نصح المحبين لك بضرورة التوقف عن

الانحدار ؟

يقول لك ابن الجوزي : «**كم نهيت عن امر ؟ فما كفك النهي ان تبسط كفك، يا من قد طال زللُه و تعثيره، تفكر في عمر قد مضى كثيره**».

درع الصدق

عندما يكون اليقين هو ديدنك عند نزول البلاء، وتعتقد اعتقاداً جازماً بان الله اراد لك الخير بهذا البلاء، فتكون صادقاً وليس مرائياً بهذا اليقين، ابشر فلن يستطيع ان يغلبك شياطين الانس والجن بوساوسهم، يقول ابن الجوزي : «**من تدرع بدرع الصدق على بدن الصبر، هزم عسكر الباطل**».

توالي الانذارات ولا تنتبه

الشَّمط بفتح الشين تعني اختلاط البياض بالسواد، وهو احد الانذارات بقرب الرحيل، وتتوالى انذارات أخرى ولكن اكثر الناس غافلون، يقول ابن الجوزي : «**أما انذرك بياض الشمط ؟ أما يبكيك قبح ما منك فرط ؟ الى متى تجري في الهوى على نمط ؟ الى متى تضيع وقتاً مثله يلتقط ؟**».

تائه في بادية الهوى

كم ضائع في بادية الهوى؟ يظن انه سيعثر على بئر ماء ينجده، وما علم ان بادية الهوى لا نجاة فيها، يقول ابن الجوزي: «**ايها الضال في بادية الهوى، احذر من بئر بوار، وليس في كل وقت تنفق سيارة**».

ايها الجاحد تذكر النعم

صدق الله حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾[1] اي جاحد للنعم، لذلك لا عجب ان تكون اول اية في القران بعد البسملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[2] لتذكير العبد بالنعم التي لا تحصى.

يقول ابن الجوزي: «**يا مغموراً بالنعم، معدوم الشكر، كلما لطفنا بك، قابلتنا بالمخالفة**».

اين لذة المعصية؟

- ايها الغارق في المعاصي، هل ما زلت تجد لذتها؟

(١) العاديات: ٦

(٢) الفاتحة: ٢

- أين لذة الزنى ؟ أين لذة المال الحرام ؟ أين لذة التسلط على الضعفاء ؟

يناديك ابن الجوزي قائلاً : «**يا عاصياً بالأمس، اين الالتذاذ ؟ يا مُطَالَباً بالجرم، أين المعاذ**»

الى من تلتجأ لينقذك من معاصيك.

ايها المغرور بلذات الدنيا

ايها المغرور بلذات الدنيا، لابد ان تسمع الحقيقة المرة التي لا تود سماعها، بان الدنيا وما فيها زائلة، فلا تضرب الاطناب فيها، يقول ابن الجوزي : «**يا متمسكاً بالدنيا، وحبلها جُذاذ، ما راعت من راعت من المحبين، ولا الشذاذ، بل ساوت في الهلاك بين الفقير وكسرى**».

صفو العيش

العاقل هو من يدرك بان دوام الحال من المحال، فلا يغتر بصفو العيش من الصحة والمال والعيش الرغيد، فينسيه ذلك ما هو اهم، وهو تحقيق الهدف الذي خلق من اجله، وهو الانشغال بالعبادة، يقول ابن الجوزي : «**لا يغرنك صفو العيش، فالرسوب في اسفل الكأس**».

الشبهات والشهوات

الكثير الكثير من البشر سيكون نصيبهم النار بسبب (الشهوات والشبهات) فشهوة تقذفه في المعاصي، وشبهة تمنعه من مزاولة الحق، يقول ابن الجوزي : «**ايها القائم على سوق الشهوات في سوق الشبهات، ناسياً سوق الملمات الى ساقي الممات الى كم مع الخطأ؟ بالخطوات الى الخطيئات**».

الغفلة والمهلة

مرضان اشد فتكا بالعصاة من كل مرض :

الغفلة : يغفل عن الموت، وعن غضب الله، وعن عقوبته، وعن الحساب يوم القيامة.

المهلة : فيُسَوّف في التوبة حتى يفجؤه الموت.

يقول لمثله ابن الجوزي : «**يا اسيراً في قبضة الغفلة، يا صريعاً في سكرة المهلة، اما يخطر بقلبك خطر امرك؟**».

بين الحلم واليقظة

- الحلم معظم ما فيه لا يمت للواقع.
- والحلم سريع الحدوث والانتهاء.

- احداث غالباً لا تتذكر تفاصيلها.
- واليقظة حقيقة لا خلاف فيها، وواقع لا تنساه، والعاقل من يعمل وينتبه ويحسب الحساب لليقظة لا الحلم.

لذلك يقول ابن الجوزي: «**الدنيا حلم، والموت يقظة، ويوم الحساب تفسير الاضغان**».

عين الهوى عوراء

يخاطب ابن الجوزي من اثقلته المعاصي، واعمى الهوى بصيرته «**يا ثقيل النوم، يا بطيء اليقظة، يا عديم الفهم، اما ينبهك الاذان؟**

- **اما تزعجك الحدأة؟**
- **أترى نخاطب اعجمياً؟**
- **او نكلم صماً؟**
- **كم نريك عيب الدنيا؟**
- **ولكن عين الهوى عوراء،**
- **كم تكشف للبصر قصر العمر،**
- **ولكن حدقة الامل حولاء**».

كيف تبقى حياً لا تموت ؟

هل يوجد عاقل في هذه الحياة لا يود أن يبقى خالداً لا يموت ؟

ولكن السؤال (كيف ؟)

الامر الوحيد الذي يبقيك حياً بعد الموت هو العمل الصالح. يقول ابن الجوزي: «**أين أرباب العزائم القوية ؟ امتلأت بالأبرار البرية، رحلوا عنها وفاتوا، ونحن متنا وهم ما ماتوا**». اعمالهم ابقتهم احياء بعد ممات اجسادهم.

تأخير وتعجيل

العقلاء وحدهم هم من يدركون بان بقاءهم في الدنيا ينتهي في اي لحظة، لذلك فهم يسرعون بالعمل لملأ صفحاتهم بالخير، بينما الاخرون يؤخرون الاعمال لنسيانهم الموت، يقول ابن الجوزي: «**عجبا لراحل عن قليل، غافلاً عن زاد الرحيل، لا يعتبر بأخذ الجيل، وانما هو تأخير وتعجيل**».

قلق القلب

الفرق بين القلب الحي والميت، ان الحي يبقي الشعور والتفكر بالذنوب، وأما الأخر صاحب الغفلة، فغطى الران قلبه

وأماته، يقول ابن الجوزي : **«من تفكر في ذنوبه بكى، ومن تلمح سير السابقين وانقطاعه شكا، ولا اقلق القلب مثل الحزن ولا نكا»**.

بعت عمري بحقير

اصحاب القلوب الحية يندمون كثيرا على اخطائهم، فيصرون على الاستقامة، اما الغافلون فلا يندمون الا عند سكرات الموت، ويوم القيامة عندما يدركون انهم باعوا الغالي النفيس بحقير زائل، يمثل ابن الجوزي ندم احدهم فيقول :

«كيف لا ابكي على عيش مضى   بعت عمري بحقير الثمن»



سر الهمة العالية

يتفاوت الناس في هممهم في الوصول الى القمم، ولكن اهم الاسباب في ذلك هو تفاوتهم بالتفكر بالأجر والتكريم بعد الوصول، يقول ابن الجوزي : **«انبعاث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالأجر»** فكلما زاد وتعمق التفكير بالأجر زادت الهمة والتحرك.

متى يُفرَحُ بالموت؟

الاصل في الانسان كراهية الموت، كما قالت ام المؤمنين (كلنا يكره الموت) ولكن هذه الكراهية تتحول الى فرح عندما

يكون من اقدم على الموت محباً لله، مطمئناً بعمله الصالح، محسن الظن بربه، موقناً لمّا اعد الله له، يقول ابن الجوزي : **«اذا وقع الفرح بأسباب التلف، دل على كمال المحبة كما قال حرام ابن ملحان[(١)] بعد ان نفذ الرمح فيه«فزت ورب الكعبة»**.

عناكب الغفلة

من جوانب ضعف الانسان (الغفلة) وان كان ملتزماً : غفلة عن الموت، غفلة عن عقوبة الذنب، غفلة عن الانتكاسة، غفلة عن تأثيره على الاخرين، لذلك وجب الحذر الذي ينبهنا له ابن الجوزي حيث يقول: **«تحت النفس باباً لعناكب الغفلة، نسجت في زواياه من لعاب الامل طاقات المنى»**.

والطاقات (ما لُفَّ من القماش).

بين العقل والنفس والهوى

انت في صراع دائم مع نفسك وهواك، كلاهما يدعوانك لاقتراف الخطأ، وعقلك يحذرك من الزلل، لذلك ينصحك ابن الجوزي ويقول لك : **«خاصم نفسك عند حاكم عقلك، لا عند قاضي هواك، فحاكم العقل يدين، وقاضي الهوى يجور»**.

(١) صحابي جليل من السابقين.

مصرع الهوى

الهوى هو المعوق نحو الانطلاق الى معالي المنازل، وصريع الهوى في انحدار دائم، حتى يفجؤه الموت وهو على ذلك، واما المخالف لهواه في ارتقاء دائم، حتى اذا توفاه الله عاش بعد الموت بآثار اعماله، يقول ابن الجوزي : «**لما علم القوم قدر الحياة، أماتوا فيها الهوى فعاشوا**».

فكم من العلماء والدعاة والزهاد ماتوا من قرون مضت، ومازالوا يعيشون بيننا حتى هذه اللحظة لما تركوا من آثار صالحة، لأنهم خاصموا الهوى في نفوسهم.

لذة قهر الهوى

ان للنفس لذة عجيبة عندما تنتصر على الهوى برضوخها لمنطق العقل والايمان، يقول ابن الجوزي : «**اما ترى الهرة ؟ تتلاعب بالفأرة ولا تقتلها، ليبين اثر اقتدارها، وربما تغافلت عنها، فتمعن الفأرة بالهرب، فتثب فتدركها ولا تقتلها، إيثاراً للذة القهر على لذة الاكل**».

الشعور بالانتصار لذة عظيمة، ولحظات لا تقدر بثمن، كلما تذكرها الانسان يسترجع تلك اللحظات من السعادة،

ومن اعظم هذه اللحظات (قهر الهوى) يقول ابن الجوزي : **«مهلاً (لا تمدن عينيك) لو علمت ان لذة قهر الهوى اطيب من نيله، لما غلبك»**.

خير رفيق في القبر

العاقل الذكي من يخطط للمستقبل، لا المستقبل الدنيوي الزائل، بل مستقبل ما بعد مفارقة الحياة، ومن هذا التخطيط اختيار رفيق مؤنس لرحلة القبر الطويلة، ولا مؤنس في القبر مثل العمل الصالح، يقول ابن الجوزي : **«يا مخدوعاً قد فُتن، يا مغروراً قد غُبِن، من لك ؟ اذا سُوّيَ عليك اللّبِن، في بيت قط ماسكن، سلب الرفيق نذير نذير، والعاقل فطن»**.

لماذا يَرَوْن الخطأ صواباً ؟

يقول تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ (١)

هي فئة من الناس يرون ضلالهم وخطأهم صوابا، والسبب يبينه ابن الجوزي عندما قال : **«واعجباً لنفس تُدعى الى**

(١) الكهف : ١٠٤

الهدى، فتأبى، ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً» فالهوى يقلب الخطأ صوابا، والباطل حقاً.

قُم بما أُمرت به تجد العجائب

لم يطلب منا الرب النتائج، بل طلب العمل، ووعدنا بالنتائج، فلا تنشغل بالنتيجة، بل لما امرت به من العمل، يقول ابن الجوزي : «**يا هذا، حفر النهر اليك، وإجراء الماء ليس عليك، احفر ساقية ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾[1] الى جنب بحر ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[2] فاذا بالغ فيها معول الكد، فاضت عليك مياه البحر (فبي يسمع، وبي يبصر)**».[3]

ساحل الخوف

الخوف من الله وعقوبته في الدنيا والبرزخ والاخرة، ابرز اسباب الابتعاد عن الحرام، بشرط عدم نسيان رحمته ورجاء

---

(١) البقرة: ١٥٢

(٢) البقرة: ١٥٢

(٣) جزء من حديث الولاية القدسي والذي يبدأ بقوله «من عادى لي ولياً» رواه البخاري (٦٥٠٢).

مغفرته، ومن خاف سلِم، ومن تجرأ سقط، يقول ابن الجوزي: «**من ارسى على ساحل الخوف، لاحت له بلاد الامن**».

عمر وسلمان رضي الله عنهما

ضرب الصحابي الجليل عمر اروع الامثلة في اسلامه، وتحمله الكثير من الاذى في سبيل ذلك، وكذلك الحال في قصة اسلام الصحابي الجليل سلمان الفارسي، وطول رحلته من بلاد الى بلاد حتى وصوله للمدينة واسلامه، انها نماذج فذة من صدق الايمان والثبات، يقول ابن الجوزي: «**ألا عزيمة عمرية، ألا هجرة سليمانية**».

الحذر ينجي

من وطّن نفسه ورباها على الحذر من المعاصي نجا من الوقوع في شباك شياطين الانس والجن، ونجا من نار جهنم، فالحذر هو مركب النجاة، كما وصفه الامام ابن الجوزي حينما قال: «**من ركب مركب الحذر، مرت به رخاء الهدى الى رجاء النجاة**».



لقمة اورثت نقمة

انما تظهر معادن الناس ايام الفتن، فكم من بارز في القنوات، وفارس في المناظرات سقط امام اول اختبار، فعندما يهتز المنصب والدينار امام اصحاب القلوب الضعيفة، يزول المكياج وتبدو الوجوه على حقيقتها، وصدق ابن الجوزي عندما قال : **«آه من حلاوة لُقَم اورثت مرارة نِقم»**.

معابر العبور

كم من الفرص يتيحها الله لنا نحن معشر البشر ولا نستغلها، كم من الجسور يمدها، ونتعمد تجاهلها حتى نغرق، يقول ابن الجوزي: **«قُدّمت معابر العبور، وانت تلهو على الساحل، اكثر العمر قد مر، وانت تتغلغل في تضييع الغابر»**.

البدار البدار

إياك ان تغتر بشبابك او صحتك او غناك او جاهك، وبادر بالعمل لتنقذ نفسك وتعلي درجتك في الآخرة، يقول ابن الجوزي : **«أخواني البدار البدار، فَمَا دَار الدُّنْيَا بدار، إِنَّمَا هِيَ جلبة لجَرَيَان الْأَعْمَار، وَكم تبقى الفريسة بَين النيوب الْأَظْفَار؟»**

بحر الغفلة والجهل

اثنان يقضيان على المرء، الغفلة والجهل، فاحذر الوقوع فيهما، فستخسر الدنيا والآخرة، واسلك طريق العلم والمعرفة، يقول ابن الجوزي: «**احذر بئر الغفلة، فكم غالَ سائحاً، وتوقَّ بحر الجهل، فكم اغرق سابحاً**».

يوم شهادة الجوارح

هذه الجوارح التي بين يديك، غدا ستشهد اما لك واما عليك، فانتبه ان تستخدمها بغير ما يرضي خالقها، يقول ابن الجوزي:

يا غاديًا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق اللهُ به الجوارح

يوم الفضائح

اعطاك الله عقلا لتدرك فيه الحق، وبصرا لتبصر فيه الحق، فاخترت بإرادتك غير الصراط، فماذا تنتظر غير الفضيحة في الاخرة؟؟

يقول ابن الجوزي :

يا عجبًا منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريقَ الواضحا

كيف تكون حين تقرأ في غد ... صحيفة قد حوت الفضائحا

تفكر في حال يوسف

استجاب الله لدعاء سيدنا يوسف عندما اشتدت عليه فتنة النساء، فتجرد من حوله وقوته، وتوجه لمن بيده الحول والقوة، ولم يقل : اني ابن نبي، ولا يمكن ان اسقط امام مثل هذه الفتنة، بل قال : ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(١)] فماذا كان الجواب بعد هذا التذلل ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾[(٢)]

تخيلوا لو ان سيدنا يوسف استجاب لرغبة امرأة العزيز وبقية نساء القصر، وحاشاه ذلك، هل كان الله سيكسبه هذه المكانة بين الناس، ويؤتيه الملك، ويكون مثالاً للعفة والطهارة ؟

يقول ابن الجوزي : «**تفكر في حال يوسف لو كان زل، من كان يكون ؟ هل كانت الا لذة لحظة وحسرة للابد**».

---

(١) يوسف : ٣٣

(٢) يوسف : ٣٤



متى يهون الترك؟

من تفكر ببعض النتائج التي تعقب طاعة هواه «الفضيحة، وذم الناس، وتلويث السمعة، وعدم التوفيق، والهم والغم، وغيرها» لهان عليه ترك المعصية، يقول ابن الجوزي: «**تلمح عواقب الهوى، يهن عليك الترك**».

ظلمة الهوى

الهوى ظلمة والعقل نور،

الهوى يوصل من يطيعه الى الضياع،

والعقل يوصلك الى جادة النجاة،

استمع لابن الجوزي ناصحاً «**يا ماشياً في ظلمة ليل الهوى، لو استضئت بمصباح الفكر، فما تأمن من بئر بوار**» والبوار هو ما لا نفع فيه، فالهوى قد يوصلك فيما يبدو طيباً نافعاً وهو في حقيقته ضاراً مزيفاً.

طبقات الغفلة

النائم يشبه الميت، ولكنه اذا نُبّه بصوت عال يستيقظ، ولكن نوم الغفلة ثقيل، لا يستيقظ صاحبه وان علت اصوات

التنبيه، يقول ابن الجوزي: «**يَا ثقيل النّوم أما تنبهك المزعجات؟!**

- **الْجنَّة فَوْقك تزخرف...**
- **وَالنَّار تَحْتك توقد...**
- **والقبر إِلَى جَانِبك يحْفر!**
- **وَرُبمَا يكون الْكَفَن قد غُزِل!**»

رقاد الهوى

رقاد التعب اهون بكثير من رقاد الهوى، ففي الاول يسهل الاستيقاظ، اما رقاد الهوى فيعمي القلب، ويسد منافذ الاحساس، ليستمر في نوم عميق، يقول ابن الجوزي: «**فَتنبه من رقاد الْهوى لما هُوَ أولى لَك، وَأحذر أَن أعمالك أعمى لَك، وأفعالك كالأفعى لَك**».

إدبار واقبال

- كم من الأشراك قد نُصبت لك
- أشراك شياطين الانس والجن
- أشراك النفس والدنيا

- واذا لم تستعن بالله فقد تقع
- واذا لم تستغل الوقت فقد تندم

يقول ابن الجوزي : **«عمرك في ادبار والموت في اقبال، فما اسرع الملتقى، لقد نُصبت لك أشراك الهلاك»**.

هذه القافلة

يذكر ابن الجوزي رواية عن الزاهد احمد بن الحواري يقول : **«رأيت شاباً قد انحدر عن مقبرة، فقلت من اين فقال : من هذه القافلة النازلة**

قلت : والى أين ؟

قال : اتزود لألحقها

قلت : فأي شيء قالوا لك،

وأي شيء قلت لهم ؟

قال : قلت : متى ترحلون ؟

فقالوا : حتى تقدمون».

يا له من فهم عظيم لحقيقة وجود الإنسان على هذه الأرض، هؤلاء هم السعداء في الدنيا.

واعظ من تراب

اطلق عليه الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعي بالواعظ الصامت، وافرد له مقالة في رائعته (من وحي القلم) من اجمل ما كتب، انه القبر، الذي يعظك وهو صامت، ولكنه اكثر تأثيرا من الواعظ المتكلم، فكم من الاحياء من ينصت لهذا الواعظ الفذ، والذي لم يطلب سوى زيارته والتفكر بمصيرك المحتوم في جوفه، فهل فهمت؟

هكذا سماه الرافعي (الواعظ الصامت) وسبقه الى ذلك الامام ابن الجوزي، الذي جعل من ابرز صفات الفطنة، الاستماع لذلك الواعظ فقال: «**من لم يسمع كلام الصامت، ولم يسمع عبارة الجامد، فليس بفطن**» لذلك اوصانا نبينا ﷺ بزيارة القبور.

ماذا كان يقصد الإمام ابن الجوزي والرافعي عندما اطلقا على القبر صفة (الواعظ الصامت)؟ واذا كان واعظا صامتاً فما الرسائل التي يريد ايصالها؟

انه يريد ان يقول:

- لا تدري متى نهايتك

- ستعود يوما الى اصلك
- بموتك سينقطع عملك
- ادرك بتوبة قبل موتك
- فهل فهمت الموعظة ؟؟

ريف التقى

من جرب الجاهلية، وانغمس في الملذات الحرام، ثم تاب الى الله، عرف الفرق بين الحالين، فأما يرجع الى ما كان عليه، فيُحرم لذة الهداية، وسكينة التوبة، واما ان يلجأ الى ريف التقوى و يستمر في طريق الايمان، ليغترف من نعيمه، حتى يختم له في ذلك، فيكسب نعيم الدنيا والاخرة.

اطلق الامام ابن الجوزي على طريق الايمان والهداية ب(ريف التقى) فشبهه بالزهور والاشجار المثمرة والبساتين والمروج الخضراء والنسيم العليل، فقال لمن جرب طريق الضلال وشروره (يا صبيان التوبة، قد عرفتم شرور أعطان الهوى، فرحلتم طالبين ريف التقى، فحثوا مطايا الجد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [1]

---

(١) الحجر: ٦٥



من تلمح عاقبته

العاطفة والهوى قد يوصلان صاحبهما الى غير جادة الصواب، اما العقل فقد خلقه الله للإنسان ليستعين به بمعرفة الصواب، هذا ما ينصحك به ابن الجوزي باستخدام عقلك لمعرفة مصيرك ان اخترت طريق الهوى فيقول : «**ويحك تلمح عاقبتك بعين عقلك، فإنها سليمة من رمد**».

أمل وزلل

في يوم القيامة يعاتب الله الذين ضيعوا اوقاتهم في الدنيا دون الاستعداد للآخرة، ويقول لهم : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾[(١)]

يقول لهم ابن الجوزي :

- «**يا طَوِيلَ الأَمَل فِي قَصِيرِ الأَجَل**
- **يَا كَثِيرَ الزّلَلَ فِي يَسِيرِ العَمَل**
- **خَلاَ لَكَ الزَمَانُ وَمَا سَدَدتَ الخَلَل**
- **أَفَمَا عِندَكَ وَجَل مِن هُجُومِ الأَجَل؟**»

---

(١) فاطر: ٣٧



اroاح الاسحار

الاسحار هي الفترة التي تسبق صلاة الفجر، وتكون في الثلث الاخير من الليل، وهي اشد الاوقات واصعبها على الناس، لذلك لا يحييها قياماً لله الا اصحاب الهمم العالية، فهي كالغذاء للأرواح، هكذا أجاد بوصفها الامام ابن الجوزي عندما قال «**أرواح الاسحار أقوات الارواح، رقّت فَرَقَت**» نعم فعندما رقّت قلوبهم واحيوا تلك اللحظات رقوا الى المعالي.

سِلَع الاسحار

اصحاب الهمم العالية، والقلوب المتعلقة بلقاء ربها عند نزوله في السحر لتناجيه، يفيض عليها من نعمه وافضاله، فيرى تلك الاثار حتى ضعيف الفراسة، يصف تلك الاثار ابن الجوزي قائلا «**اصبحت عليهم آثار الحبيب والطيب نموم، هذه سِلَع الاسحار، من يشتري؟ من يسوم؟**».

دموع الخائفين

اشد ما يحرص عليه المخلصون ان لا يرى اعمالهم الاخرون، لذلك يبالغون في اخفائها، حرصاً على قبولها، خاصةً اذا بكوا خشية من الله، يقول ابن الجوزي: «**دموع**

الخائفين، يحبسها بالنهار، مراقبة الخلق، فاذا جن الليل انفتح سكر الدموع، فسالت اودية بقدرها».

هذا سبب مرضك

الامراض الروحانية تماثل الامراض الجسدية كثيرا بالأسباب والمسببات، وهذا ما أراد ان يقربه لنا ابن الجوزي حينما قال :

«أخبرني عن تخليطك ؟

فالطبيب لا يكذب،

سجيتك تعلمني، فاسمع احدثك :

استكثرت من برودات الغفلة، فقعد نشاط العزم، فلو قاومتها بحرارات الحذر، لقام المقعد» فاذا احسست بالضيق، والغم، وقساوة القلب، وشهوة المعاصي، فابحث عن الاسباب.

اعقل العقلاء

هم من ادركوا بانهم في دار مؤقتة، وجسر للحياة الابدية، وقبر سيلبثون فيه طويلاً، فاستعدوا لتلك الحفرة وتلك الدار، واخذوا من هذه الزائلة ما يقوم حياتهم في الاخرة، يقول ابن الجوزي :

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس

جهازاً من التقوى لطول ما حبس

وأعقل العقلاء هم من ادركوا بان الدّور ثلاثة :

١- دار الدنيا ٢- دار القبر ٣- دار الاخرة

وان أقصر الأعمار في تلك الدور، هي دار الدنيا، فتخففوا منها، ولم يتوغلوا فيها، بل تيقظوا واهتموا بالدارين الاخريين، يقول ابن الجوزي : «**طوبى للمتيقظين، انهم لقدوة، علموا عيب الدنيا، فما امسكوا عروة**».

ومن ابرز صفات العقلاء، هو الادراك لحقيقة الدنيا وقصرها، والنّصَب من اجل النجاة من النار، والفوز بأعلى الدرجات، وهؤلاء قلة، لذلك قال الامام ابن الجوزي : «**أين الذين نصبوا الآخرة بين اعينهم، فنصبوا ؟**».

أين دليل الحب ؟

الحب ليس ادعاءً، بل عمل يبرهن على تلك المحبة، وتعب من اجل كسب رضا المحبوب، لذلك من السهل اكتشاف مُدّعي محبة الله، يقول ابن الجوزي : «**لو كان في قلبك محبة، لبان أثرها على جسدك**» بالقيام بأنواع القربات.

غدا يفرح البكّاؤون

من بكى اليوم خوفا من الله، وتذكراً لأحداث الاخرة، وخشوعا لكلامه، وندماً على معاصيه، فانه سيفرح يوم تعرض الاعمال، فيرى كتابه مملوء بالنور، فيجري بين الخلائق يوم الحشر، فرحاً مسروراً، وهو ينادي اهل المحشر ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [1]

قساة القلب، ومن تحجرت مآقيهم، وجفت منابع دموعهم، وتغلّفت بالران قلوبهم، سيبكون غداً كثيرا، يقول ابن الجوزي: **«يا جامد العين اليوم، غداً تدنو الشمس الى الرؤوس، فتفتح أفواه مسام العروق، فتبكي كل شعرة بعين عروقها»**.

أيها المظلوم

من غايات البلاء (الرجوع لله) بعد اقتراف ما نهي عنه، او اعراض عن ذكره، يقول ابن الجوزي: **«انت ايها المظلوم، تذَكر من اين أُتيت؟ فانك لا تلقى كدراً الا من طريق جناية** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(١) الحاقة: ١٩-٢٠

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[(١)]»

دعاء المظلوم

يقول ابن الجوزي : «**لا تحتقر دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته، الى سقف بيتك، نباله مصيب، ونبله غريب، قوسه حرقة، ووتره قلقة، ومرماته هدف (لا نصرنك)**» فكيف ينام الظالم و وراؤه مظلوم يدعو عليه ؟؟.

مصير الظالمين

توعد الله الظالمين بالانتقام في الدنيا قبل الاخرة، ولكن الران اعمى بصيرتهم، يقول ابن الجوزي:

«بينا القوم ينبسطون على بسط البسيطة،

كفّت اكفهم بمقامع القمع،

لَسَبتهم عقارب ظلمهم،

نفخ عليهم ثعبان جورهم،

عقرتهم اسود بطشهم،

نسفتهم عواصف كبرهم،

(١) الرعد: ١١

وفِي الغير عبر».

نسيم النفاق

الصدق والاخلاص نتيجته في الدنيا رفعة وجمال وازدهار.

والنفاق نتيجته في الدنيا سقوط وقبح وانحدار، يقول ابن الجوزي: «**للمرائي سموم النسيم، نفاق المنافقين صيّر المسجد مزبلة** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[1] **واخلاص المخّلفين رفع قدر الوسخ**».

عطر القبول

سبحان الله الذي جعل للمخلص وجهاً لا يكذب، وكأن عطراً خاصاً به يعرّف المقابل بإخلاصه، لا يخطؤه اقل الناس فراسة، يقول ابن الجوزي : «**لريح المخلصين عطرية القبول**».

غباء المرائي

من اغرب انواع الغباء البشري، غباء المرائي، وهو الذي يظهر للناس من نفسه خلاف ما هو عليه، انه ينسى او يغفل بان الذي يرائيه بشر مثله، ليس له حول ولا قوة، وانه عبد لله

(١) التوبة: ١٠٨

مثله، لا يملك ما يريده منه الا بمشيئة خالقه، يقول ابن الجوزي : **«أيها المرائي، قلب من ترائيه بيد من تعصيه»**.

الصالحون والاخلاص

يقول ابن الجوزي : **«كان في ثوب ايوب السختياني**[(١)] **بعض الطول، لستر الحال، وكان اذا وعظ فرَقَ (اي خاف) من الرياء، فيمسح وجهه ويقول : ما اشد الزكام»** يخفي بكاءه وتأثره.

لاحت لك الخيام

الهوى هو المانع من التمتع بلذة الايمان التي لا تعادلها لذة في الحياة الدنيا، يقول ابن الجوزي : **«المُحبّون على شواطئ انهار الدمع نزول، فلو سرت عن هواك خطوات، لاحت لك الخيام»**

بين الهوى والعقل

- حوار بين صالح وهواه
- الهوى : ابحث في النت (؟؟) ما يثير شهوتك
- العقل : ولكن هذا حرام

(١) زاهد من تابع التابعين، ولد ٦٦ هـ ـ وتوفي ١٣١ هـ.

- الهوى : ليس هذا واقعاً بل صورة
- العقل : كل ما يثير الشهوة حرام
- الهوى : ولكنك تريد الاثارة لتضعها بالحلال
- العقل : «اللَّهمَّ اكْفِني بحلالِكَ عَن حَرَامِكَ، وَاغْنِني بِفَضلِكَ عَمَّن سِوَاكَ»[(١)].

نسيم السحر

السحر يسبق الفجر، وفيه ينزل الرب الى السماء الاولى، وعظمته من عظمة من ينزل فيه، ولا يوفق اليه الا من اختارهم واصطفاهم، يقول ابن الجوزي : **«لما حرك نسيم السحر اغصان الشجر، اخذت ألسن قلوبهم في بث القلق، فكاد نفس النفس يقطع الحيازيم لولا حزم التمسك»**.

ربيع الابرار

- اغلى الدقائق دقائق السحر،
- واجمل الدقائق دقائق السحر،
- واجمل المناجاة عند السحر،

(١) رواهُ الترمذيُّ وصححه الألباني (صحيح الترمذي ٣٥٦٣).

وغلاؤها وجمالها وروعتها بسبب نزول العظيم رب العالمين فيها،

ينادي : هل من مستغفر فاغفر له،

لذلك قال ابن الجوزي : «**اوقات السحر ربيع الابرار**».

غصن الهوى

يشبه الامام ابن الجوزي عدم استقرار الهوى وتبدله بغصن لا يلبث ان يكون هشيماً فيقول : «**لا يعجبنكم استقامة غصن الهوى، فالغصن قصيف، ها نحن قد شتونا، ولعلنا لا نصيف**» فالإيمان وما يتصل به هو المستقر كالشجرة الطيبة، اصلها في الارض وفروعها في السماء، أما الاهواء فأغصان تغدو هشيماً.

خيول الدمع

اذا انكسرت طبقة الران التي سببها الهوى والتي تغطي قلوب الغافلين، خرجت عجائب القلب مع دموع الندم كأنها خيول جامحة، يقول ابن الجوزي :«**اذا خرجت القلوب بالتوبة من حبس الهوى، الى بيداء الانابة، جرت خيول الدمع في حلبات الوجد كالمرسلات عرفاً**».

معاشر العصاة

ينادي ابن الجوزي العصاة محذراً : «**يا معاشر العصاة، قد عم الجدب ارض القلوب، واشرقت زروع التقوى على التوى - الضياع - فاخرجوا من حصر الذنوب الى صحراء الندم، وحولوا اردية الغدر عن مناكب العهود**» ولا يظهر الندم الا اذا ظهر نجم التوبة متلألأً.

ايها العاصي تقدم خطوة

بالرغم من معاصيك وجرائمك، ربك يناديك «**يا عبادي إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا فاستغفِروني أغفرْ لكم**»[(١)]

فماذا تنتظر ؟ والى متى تنتظر ؟

تقدم الى الله خطوة، يتقدم اليك خطوات، غادر المعاصي لله لحظات، تجد السعادة ساعات،

حان وقت تحطيم القيود، فإياك ان تؤجل.

---

(١) رواه مسلم ٢٥٧٧ كتاب البر و الصلة.



الفاني والباقي

هل يوجد عاقل يفضل ويقاتل من اجل امرٍ فان، ويزهد بنعيم دائم ؟؟

خاصة من خط في وجهه الشيب، يقول ابن الجوزي : «**يامن يجمع العيب الى الشيب ويضيف،**

لا الماء بارد، ولا الكوز نظيف،

ان ايثار ما يفنى على ما يبقى لمزيف».

كل مخلوق فيه عبرة

المؤمن الحريص هو من يستخلص العِبَر في كل مخلوق يراه ويعيشه،

يقول ابن الجوزي : «**كل المخلوقات بين مُخوف ومشوق،**

حر الصيف يذكر حر جهنم،

وبرد الشتاء محذر من زمهريرها،

والخريف ينبه على اجتناء ثمار الاعمار،

والربيع يحث على طلب العيش الصافي».



متى تعثر على الجادة ؟

قد يفقد المسافر في الصحراء الجادة التي توصله الى مراده ساعة او ساعتين، اقل او اكثر، ولكنه سيعثر عليها ويكمل المسير، ولكن ان يبقى ضائعا اياماً وشهوراً وسنين، فهذا هو العجب العجاب، يقول ابن الجوزي: «**يا هذا انما يضل المسافر في سفره يوما او يومين ثم يقع على الجادة، واعجباً من يتيه خمسين سنة**»

صفاء الافكار

عندما يصفى فكرك من مشاغل الدنيا الكثيرة، ترى من العجائب والفتوحات والخشوع في قراءتك للقرآن واثناء صلاتك ما لا تراه اوقات الانشغال، يقول ابن الجوزي: «**لو صفت لك فكرةً، كان لك في كل شيء عبرة**» فأسع للتخلص من متعلقات الدنيا لترى العجائب.

العمر يمضي سريعاً

الحقيقة التي لا يشعر بها معظم الناس، ان الاعمار تنقضي سريعا، بينما الإعداد لما بعد الموت بطيئاً، وعند البعض متوقف تماما، فاذا ما ايقن بالنهاية اراد ان يستدرك، فانّا له

الاستدراك، يقول ابن الجوزي : «**يامن عمره يذوب، وما يتوب**» فمتى نبدأ ؟

جمال ثوبك

جمال الثوب في نقائه من الاقذار، وسلامته من الخرق، والدين والاخلاق هنا هما جمال الثوب، يقول ابن الجوزي : «**اذا خرقت ثوب دينك بالزلل، فارقعه بالاستغفار**».

فالاستغفار هو المبيض للثوب وهو المرقع لخروق المعاصي التي اتلفته.

يقول تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ (١) يقول الامام الطبري في تفسيره لهذه الآية : «فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دَنِسَ الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا : مطهَّر الثياب» فالثياب هنا هي دينك واخلاقك، فحافظ على نقائها وجمالها، كمحافظتك على ثيابك التي تلبسها.

اجمل الثياب على الاطلاق هو ثوب التقوى، فمن لبسه، كان ذو حظ عظيم، ومن لبسه فقد غطى عورته الظاهرة والباطنة بأجمل الثياب، يقول تعالى : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

(١) المدثر : ٤

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[1]، قال الامام الطبري في تفسيرها: «قالوا السمتُ الحسن وقال آخرون: هو خشية الله».

سل الايام

يستشهد الامام ابن الجوزي بأبيات من الشاعر الابله البغدادي:

سَلِ الأَيَّامَ مَا فَعَلَتْ بِكِسْرى وقَيْصَرَ والقُصُورَ وَسَاكِنِيْهَا ؟!

أما اسْتَدَعَتْهُم لِلْمُوتِ طُرًا فَلَمْ تَدَعِ الحَلِيمَ ولا السَّفيهَا

سفر الشوق

هذه الاجساد وما فيها من آلات اعطيت لنا من الله لننفذ من خلالها ما خلقنا من اجله، فمن الناس من نعّمها واترفها، ولم يستخدمها في تحقيق الهدف، ومنهم من اتعبها، واستخرج كل ما فيها من طاقة للوصول للغاية، عنهم يقول ابن الجوزي: **«انضى القوم رواحل الابدان في سفر الشوق، حباً لتعجيل اللقاء»**.

---

(١) الأعراف: ٢٦



ارض ذوبان الفوارق

هل يوجد في الارض مكان لا يوجد فيه فوارق بين الناس ؟؟

إنها ارض المقابر، لو استحضر وتذكر الانسان ان مآله اليها لما عصى الله يوما، يقول ابن الجوزي: «**تحت الصخور لا فرق بين ذات الإيماء وذوات الخدور، في ذلك المهبط الحدور، لقد بان للكل ان الدنيا غرور**».

هاروت وماروت

الدنيا ليست حراماً بذاتها، ولا بما خلق الله فيها من متع الحياة، وانما تكون خطيرة ووجوب الحذر منها بحسب التعامل معها، فمن استخدمها جسراً توصله للأخرة، هو سيد لها وليس عبداً من عبيدها، فقد سعد وربح في الدارين، اما من كان عبداً لزينتها فقد شقي بالدارين.

قليل من الناس من يصمد امام زينة الدنيا، وقليل من يستخدمها جسرا للأخرة، لذلك يحذر ابن الجوزي الفئة القليلة فيقول: «**احذروا الدنيا، فإنها اسحر من هاروت وماروت، ذانك يفرقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرق بين**

العبد وربه».

لاحت الغاية

لا شك ان الشيب علامة من علامات النهاية، فالعاقل من يبادر قبل ان تأتي لحظة النهاية فجأة دونما استعداد، يقول ابن الجوزي : «**يا هذا لاحت الغاية لعين الشيب، فَصِح بِخَيْلِ البدار**» ولكن من غطى الران على قلبه يستمر بالغفلة وان غزاه الشيب من كل مكان.

عبرة من شاهد قبر

يقول ابن الجوزي : قُرئ على قبر :

أَنا فِي الْقَبْر رهين   قد تبرا الْأَهْل مني

اسلموني بذنوبي   خبت إِن لم يعف عني

من لم يصغ لنصيحة الاحياء، لعل نصيحة الاموات تجد موضعاً لها في قلبه.

الروح والريح

الموعظة عندما تخرج من قلب صادق، نقية من البدع

والخرافات، فان لها اثراً عظيما على النفس.

يقول ابن الجوزي : «**نسيم الريح يقوي الروح، مالم يختلط به بخار رديء، كذلك كلام المذكرين اذا سلم من بدعة، كان قوتاً للنفس**».

رياض الهدى

ايها التائبون أيوجد اجمل واروع من الرياض التي ترتعون فيها، كيف تستبدلونها بأدنى منها ؟؟

يقول ابن الجوزي : «**ايها التائب قل لقلبك، الراعي في رياض الهدى، احذر من لفتة الى خضراء**[١]**، ومن الهوى، فمرعاك اطيب، وشرابك اعذب**».

لعل غفلة قليلة تقتلك

كما يقولون في الحِكَم القديمة «**الجَرّة لا تسلم دوما**»، فقد تعود بعد غفلة الى الاستقامة، ولكن رب غفلة قتلت، يقول ابن الجوزي : «**استراح آدم الى بعض العناقيد، فاذا به في العَنَا قِيْد**»

(١) يقصد خضراء الدمن ـ وهي الذبابة الزرقاء الخضراء تطير على المزابل.

هذه هي الدنيا

كثيرون يعيشون في هذه الدنيا ويغادرون ولم يعرفوا حقيقتها، لذلك فهم لا يتمتعون بلذاتها الحقيقية، ثم يذوقون ويلات جهلهم في الاخرة ما لم يحتسبون، ومن حقائق الدنيا توالي المسرات والفاجعات، ولم الشمل وتفرقه، يقول ابن الجوزي : «**تنبه فان الدهر ذو فجعات، وشمل جميع صائر لشتات**»

يجهل الكثير عن حقائق الدنيا، ومن ذلك انه ما يمضي يوم من عمره الا ويقترب من نهايته، وجهله هذا يجعله يتعلق بهذه الآمال، تعلقا ينسيه واجبات كثيره على رأسها واجبه تجاه خالقه،

يقول ابن الجوزي :

«نخلف ما مولاتنا وكأننا نسير اليها لا الى الغمرات

هل المرء في الدنيا الدنية ناظر سوى فقد حب او لقاء ممات»

اين المعتبِر؟

الدنيا مليئة بالعبر، ولكن اين المعتبِر؟ يقول ابن الجوزي :

«اخواني الا ذو سمع وبصر؟

يعلم ان الاعمار فيها قِصَرْ،

الا متلمّحٍ ما في الغير من العبر»

الحس والعقل

الحس يمثل الهوى والعاطفة، والعقل يمثل البصيرة والقرار السليم، فاذا ما غلب الحس العقل وقع الخطأ، و إذا ما غلب العقل وقع الصواب، يقول ابن الجوزي : **«اذا رآك عقلك وقد تولى حِسّك تدبيرك تولى، ويحك لا تأمن حِسّك على عقلك»**

العافية والزلل

يعطي الله تعالى للعبد الصحة والعافية لتعينه على اداء ما فرضة عليه، ولممارسة العبودية التي هي غاية الخلق، فاذا ما استخدمها بالمعاصي حرمه منها، يقول ابن الجوزي محذراً : **«ينبغي لمن أُلبس ثوب العافية ان لا يدنسه بوسخ الزلل»** فبقاء العافية مرتبط بالطاعة».

احذر زوال النعمة

ما ذكره ابن الجوزي من التأثير على النعمة بالمعصية بقوله : **«ينبغي لمن البس ثوب العافية ان لا يدنسه بوسخ الزلل»** يؤيده ما رواه الطبراني بأسناد حسن **«إنَّ للهِ أقوامًا اختصَّهم بالنِّعمِ**

لمنافعِ العبادِ، يُقرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرِهم».[1]

فإن الله يختار من عباده من يعطيهم نعماً لخدمة من تنقصهم هذه النعم، فيعطي علما ليعطيه لجاهل، ومالاً ليعطيه لمعسر، وقوة ليساند فيها ضعيف، ولسانا ليتكلم بالحق، فان قام بالمهمة والا فينزع منه تلك النعمة ويعطيها لآخرين.

الى متى تؤخروا التوبة ؟؟

ما دمت في عالم الاحياء، فان فرصة التوبة متاحة، ولكنك لا تعلم متى تغلق، يقول ابن الجوزي :

«يا نفس توبي فان الموت قد حانا   واعصي الهوى فالهوى مازال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا   لقطاً وتلحق أخرانا بأولانا

في كل يوم لنا ميت نشيعه   نرى بمصرعه آثار موتانا»

ندرة الرواحل

قال ابن قتيبة : «الراحلة النجيبة المختارة من الابل للركوب

(١) رواه المنذري، وحسنه الألباني (صحيح الترغيب رقم ٢٦١٧).

وغيره، فهي كاملة الاوصاف» لذلك يوصف الرجل ذو الاوصاف الكاملة من الصبر والتحمل والايمان والتقوى، والخلق القويم، والعلم، والقيام بأمر الدعوة، وفن القيادة بـ (الراحلة).

فاين هؤلاء الرواحل في زماننا ؟؟

الزاهدون في هذه الحياة، والمتقون في كل جيل لا يلزم أن يكونوا جميعاً من (الرواحل)، ذلك أن الكثير منهم ينقصهم الكثير من الصفات التي تجعلهم من الرواحل، على راسها، الافتقار الى القيادة، والاحتكاك في المجتمع، والحكمة في الدعوة، وعلم الواقع، لذلك كان ابن الجوزي يقول: «**طريق المتقين تفتقر الى رواحل**».

لا يمكن ان تنجح الدعوة من غير رواحل يقودونها، ويقودون الامة الى ما يريد الله، فالعلم الشرعي وحده لا ينفع، والعلم بالسياسة وحده لا ينفع، والعلم بالاقتصاد وحده لا ينفع، والاتصاف بالقيادة وحدها لا تنفع، وجميع تلك العلوم لا تنفع اذا افلسوا من التقوى، لذلك قال ابن الجوزي: «**طريق المتقين تفتقر الى رواحل**».



فرغ قلبك

من ابرز حقائق التوحيد، تفريغ القلب من كل حب سوى حب الله، وكل حب دنيوي انما هو متعلق بحبه لله، كما جاء في الصحيحين، ان من الثلاثة التي يجد فيها المرء حلاوة الايمان «**وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلاَّ للَّهِ**»(١) لذلك قال ابن الجوزي: «**انما يصلُحُ للمَلِكِ قلب فارغ مما سواه**».

خيانة قلب

انما خلق الله القلب ليعمره الانسان بالإيمان، لا ان يملؤه بالشهوات والمعاصي، حتى يعلوه الران فيعمى عن رؤية الحق، يقول ابن الجوزي : «**قلبك خان، كل يوم وليلة يفارقه ركب وينزل ركب، في كل يوم ترهن قلبك على ثمن شهوة، فيستعمله المرتهن، فقد اخلق**».



اختيار الضياء

من اختار الضياء، فقد اختار الهدى، فلا بد ان يصل الى بر

---

(١) رواه البخاري ١٦ ومسلم ٤٣ وبدايته «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجدَ حلاوة الإيمانِ**».

الامان، ومن اختار الظلام تاه، يقول ابن الجوزي: «**يامن يختار الظلام على الضوء، الذباب اعلى همة منك، متى اظلم البيت خرج الذباب الى الضوء**».

من دعاء الصالحين

عندما يتصل القلب بالآخرة، ويتخفف من الدنيا، يفتح الله عليه من فتوحاته، فهذا نموذج من ادعية الصالحين يذكرها ابن الجوزي: «**اللهم ان منعتني ثواب الصالحين، فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته**».

زكام الكسل

انما يتولد من الفتور شر كثير، والفتور مرحلة من مراحل التوقف، الذي يعقبه موت، وان دب على الارض، فانتبه لما يقول ابن الجوزي: «**دخل فصل برد الفتور، ولم تحرزه، فأصابك زكام الكسل**».

العقل والعواقب

ابرز فوائد العقل انه يرشد صاحبه عاقبة اي قرار يتخذه،

ليتضح الخطأ من الصواب، بينما لا يريك الهوى سوى اللذة، سواءً من حرام او حلال، يقول ابن الجوزي: «**شغل العقل النظر في العواقب، فأما الهوى فإيثاره لذة قليلة، تعقب ندامة طويلة**».

حرب ومحراب

المؤمن الحق في حرب دائمة مع الشيطان، وشياطين الانس، ونفسه الامّارة، وزينة الدنيا، وبين شوقه للخلوة مع الله، وتقربه منه بسائر العبادات، كما يقول ابن الجوزي :

«**المؤمن بين حرب ومحراب، وكلاهما مفتقر الى جمع الهم**» فالتشتت وعدم التركيز يضيع المؤمن ويضعفه امام هذه التحديات.

المؤمن في صراعه مع اصحاب الباطل، وخوضه الحروب المتوالية، قطعا ستضعفه إذا ما فقد التوازن بين تلك الحرب المستمرة، وبين وقود الايمان الذي يمده بالطاقة، ليستمر بالثبات على مبادئه، والذي يمثله (المحراب) فالحذر الحذر ان يغفل عن التزود بذلك الوقود، والا فسيتفوق عليه الباطل في لحظة ضعف وغفلة.



اغتنام الفرص

الفرصة قد لا تتكرر، واحد ابرز نجاح الاذكياء انهم يقتنصون الفرصة اذا رأوها، لانهم يعتقدون ويستيقنون انها قد لا تتكرر، هكذا يُبين ابن الجوزي للمتقاعسين، فيقول لهم : «**يا مهملين النظر في العواقب، سلفوا وقت الرّخْص، فما يُؤْمَن تغير السعر**».

حث النبي ﷺ في احاديث كثيرة على اغتنام الفرص، فقد لا تعود اذا اهمل اغتنامها فيقول في احدها «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ** :

١- شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، ٢- وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ،
٣- وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، ٤- وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ،
٥- وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ.»[١]

سهام العيون

بالرغم ان الحديث المشهور «**إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ**». حديث ضعفه العلماء، الا ان معناه صحيح، فان

(١) رواه المنذري وصححه الألباني (صحيح الترغيب رقم ٣٣٥٥).

ارسال سهم النظر الى العورات، والى ما لا يحل لك من النساء، يرتد اليك فيقتلك دون ان تشعر، يقول ابن الجوزي: «**لا ترموا باسهم العيون، ففيكم تقع**».

- **من ابرز الآثار السلبية للنظر المحرم للنساء والعورات:**

① تعلق القلب

② قرار عمل العلاقة الحرام

③ فعل الحرام

④ ترك الزوجة الحلال والتوجه للحرام

⑤ توتر العلاقة الزوجية او الطلاق

⑥ الانشغال عن الامور المهمة

⑦ ضعف الايمان وذهاب الخشوع

سباع الالسن

اخطر مخلوق في الانسان هو اللسان، واكثر الناس دخولا في النار بسببه، وكما قال العرب: «**لسانك حصانك ان صنته صانك وان هنته هانك**» فاذا لم ينتبه له الانسان فقد يوديه في مهاوي الردى، وسماها ابن الجوزي سباع تفترس، فقال: «**سلسلوا سباع الالسن، فان انحلت افترستكم**».

خمر الجهل

خمر الجهل اشد فتكاً من الخمر الحقيقي، فالثاني يغيب عقلك مؤقتا، وأما الأول يغيب عقلك أبداً، حتى انك ترى الحق جهاراً ويمنعك جهلك عن اتباعه، لذلك ينادي ابن الجوزي ذلك الجاهل : «**يا متناولاً للمسكر، لا تفعل، يكفيك سكر جهلك، فلا تجمع بين خليطين**».

المراقبة والشكر والطاعة

- من يستحق المراقبة ؟
- ومن يستحق الشكر ؟
- ومن يستحق الطاعة ؟

ثلاثة اسئلة بجيب عليها الامام ابن الجوزي فيقول : «**اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه، وشكرك لمن تعنيك نعمه، وطاعتك لمن لا ترجو خيراً الا منه**».

مقام المراقبة

كان من نصيحة ابن الجوزي «**اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه**» فما هي المراقبة ؟؟

هي «**دوامُ علمِ العبد، وتيقنُهُ باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه**» ومن وصل الى هذه الدرجة من المراقبة فقد وصل بر الامان، من اقتراف ما لا يليق، او هدر الوقت فيما لا ينبغي.

قلبك مغموس بالهوى

اذا اختلط الهوى بالشيء اليسير من النية افسدها، فكيف بمن يغلب على نيته الهوى ؟؟

يقول ابن الجوزي: «**انما الاعمال بالنيات، وقلبك كله مع الهوى**»

فالأولى بالمؤمن ان يراجع كل عمل يقدم عليه، لينقيه مما علق فيه من الهوى، خوفاً من عدم القبول.

امراض الهوى

الهوى ما تهواه النفس، وفِي الغالب يخالف ما امر به الشرع، فكم من الاعمال افسده الهوى؟ وكم من الجرائم والظلم كان دافعه الهوى؟

وكم من فساد العلاقات بين الاحبة كان وراءه الهوى؟ يقول ابن الجوزي : «**اكثر الامراض امراض الهوى، واكثر القتلى بسيفه**».

نهر الهوى

لا يمكن لمن سقط في نهر الهوى، واخذه في مجراه الى مكان بعيد، ان يرجع الى ما كان عليه في ليلة او ضحاها، بل لابد له من الصبر والمصابرة، والجهد والمجاهدة، حتى يسترد انفاسه، ثم يرتقي بعد ان يخلص نفسه من قيود ذلك الهوى، يقول ابن الجوزي : «**انحدرت عزيمتك في جريان نهر الهوى، فاصبر صبر مداد لعلك ترُدّها**»

أرباب الهوى

المنغمسون في الشهوات، وقادتها، يحسبون انهم ملكوا الدنيا وشهواتها، وسيطروا على ملذاتها، وهم لا يدرون انهم اطفالاً وعبيدا لهذه الشهوات، ومازالوا اسرى لعاداتهم، يقول ابن الجوزي : «**أرباب الهوى أطفال في حجور العادات، وان شابوا**»

إرضاء المشتري

خلق الله جنة عرضها كعرض السموات والارض، فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت، ولا خطر على بال بشر، ليس للكسالى والمتقاعسين عن اصلاح عيوبهم، بل لأصحاب

الهمم الذين جاهدوا انفسهم، وانشغلوا بإصلاح عيوبهم يقول ابن الجوزي : «**ويحك انتبه لإصلاح عيوبك، لعل المشتري يرضى**».

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[(١)] فالله هو المشتري، والمقابل سلعة الله الغالية وهي الجنة، ولا يرشح لها الا من باع هذه النفس لصاحب الجنة، ولكن المشتري لا يقبل شراء نفس لم يخلصها وينقيها صاحبها من الاوساخ، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[(٢)] لذلك قال ابن الجوزي ناصحاً: «**ويحك انتبه لإصلاح عيوبك، لعل المشتري يرضى**».

منام المنى اضغاث

كيف تتمنى الجنان، وانت لم تبذل اسبابها ؟

كيف تتمنى الحور وانت غارق في المعاصي ؟

فالأحلام تظل احلاماً ما لم تقترن بعمل دؤوب وهمة عالية، لتصل الى الهدف، يقول ابن الجوزي: «**واعجباً الظاهر**

(١) التوبة ١١١

(٢) الشمس: ٩

غير طاهر، والباطن باطل، الامل بخار فاسد، الرعونة علة صعبة، منام المنى اضغاث احلام».

الآمال متكأ الكسالى

كثيرون في هذه الحياة يحلمون بالنجاح، ويأملون بالإنجاز، والوصول الى ما يريدون، ولكن اقل القليل من هؤلاء من يصلون، لان هذا القليل لم يكتف بالأمل، بل قرن الامل بالعمل فوصل، لذلك عرف اهل اللغة الامل بـ(الرجاء، وأكثر استعماله فيما يُسْتَبْعَدُ حصولُه) ولذلك يغري الشيطان عُبّاد الدنيا بالآمال الزائفة ليشغلهم بها عن آخرتهم، يقول ابن الجوزي : «**رائد الآمال كذوب**».

أحلام الامس حقائق اليوم

لو اكتفى رواد الحركة الاسلامية في العصر الحديث بالأحلام والمشتهيات لبقوا في اماكنهم منذ سقوط الخلافة الاسلامية، لكنهم علموا ان الشهوات والاحلام تراوح في اماكنها مالم تقترن بالجهد والجهاد والصبر والمصابرة والاحتساب حتى تتحول الى حقائق، يقول ابن الجوزي : «**مرعى المشتهى هشيم**».



العجز شريك الحرمان

قبل ان تحسد غيرك على ما اعطاه الله من خيري الدنيا والاخرة، اسأل نفسك - هل حصل على هذه النعم بالتقاعس والكسل، ام بالهمة العالية والتحمل والصبر والمثابرة؟؟ - فاذا علمت الاجابة فاستمع لنصيحة ابن الجوزي وهو يقول لك : «**العجز شريك الحرمان**».

خيام الكسالى

التفريط لغة هو«**وفرط في الشيء قصر فيه وأهمل حتى ضاع وفلت**»

واذا كان للتفريط ام او بيت يأوي اليه فامه ومأواه هو الكسل، لذلك قال ابن الجوزي : «**التفريط مضارب الكسل**» والمضارب هي الخيام الكثيرة، فالمفرطون قوم ظنوا انهم بعيدون عن الموت، فاهملوا وضيعوا الاوقات، فاذا بالمرض او الموت يفجؤهم، ولم يكن لهم متسع للاستدراك.

بين الفطنة والغفلة

الفطنة لغة هي «**الحِذْقُ والمهارةُ، حِكْمة، تبصُّر، بُعد نظر**»

اترضى ايها المسلم ان تكون حشرة اذكى منك، ويكون لها مهارة وحكمة وتبصر وبعد نظر، وانت تضيع وقتك بالزائل، يقول ابن الجوزي: «**العنكبوت الفطن ينسج في زاوية، والمغفل ينسج على الارض**».

ذبائح الصياد

اذا كنّا لا نستطيع مشاهدة الشيطان، افلا نشاهد كل يوم آلاف ضحاياه بل الملايين؟؟ افلا يجعلنا ذلك نهرب من افخاخه؟؟ يقول ابن الجوزي : «**الحذر من صياد يسبق الطير الى مهابطه بفخوخ مختلفة الحيل، قدروا انكم لا ترون خيط فخه، اما تشاهدون ذبائحه؟**»

كثيرون في هذه الحياة لا يرون افخاخ الشيطان التي ينصبها لهم ليل نهار، بأشكال مختلفة والوان زاهية، وطُعم لذيذ، ولكن ابن الجوزي يناديهم قبل إطباق الفخ عليهم «**يا مغرورين بحبة الفخ، ناسين خنق الشّرَك، تذكروا فوات الملتقط، مع حصول الذبح**».



مرض البصيرة

- البصر هو الرؤية الظاهرية للأمور.
- البصيرة هي الرؤية الباطنية لها.
- البصر هو ما تشاهده العيون.
- البصيرة هي ما تشاهده العقول
- البصر هو المشاهدة القريبة.
- البصيرة هي المشاهدة البعيدة،

لذلك يقول ابن الجوزي عمن فقد البصيرة «**مرضت عين بصيرته فيها، فما ينفع الكحل**».

البصيرة هي الاساس والبصر ما يبنى عليها، والبصيرة هي الاصل والبصر هو الفرع، فمجرد غياب البصيرة يفقد المرء تدبيره، ويغدو ألعوبة بيد شياطين الانس والجن، لذلك من فقد بصيرته فضل الدنيا على الاخرة، يقول ابن الجوزي: «**ايها المطمئن الى الدنيا، وهي تطلبه بدخل، قد مرضت عين بصيرته فيها، فما ينفع الكحل**».

ساحل سوف

- (سوف) كلمة تأجيل،
- (سوف) كلمة تأخير،
- (سوف) كلمة الكسالى وغير الجادين
- (سوف) كلمة المتذبذبين

واذا قيلت في امور التوبة فتدل على جهل مطبق بالنهاية المجهولة، فكما يقول ابن الجوزي : «**كم غرقت في سِيف - ساحل - سوف سفينة نفَس**».

أين الملوك ؟

يقول ابن الجوزي : «**أين الملوك وابناء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا ؟ أضحوا بمهلكة في وسط معركة موتى وما شيء الورى من فوقهم يطس**».

وافضل من ذلك ما قاله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1]

(١) الرحمن: ٢٦-٢٧

اللبيب بالإشارة يفهم

واللبيبُ هو صاحِبُ العقل والرأي (مِن اللب) ويقول الشاعر :

العَبدُ يُقرعُ بالعصا والحُرُّ تكفيهِ الإشارَة،

فاللبيب يفهم موعظة القران وكلمة الناصح والواعظ والمربي، وان كانت غير مباشرة، بينما الاحمق والغبي يكرر الناصحون الصراخ ولا يفهم، يقول ابن الجوزي : «**لوح للقوم فأجابوا، وكرر الصياح بك وما تلتفت**».

اللبيب من يفهم مبتغى القرآن وهو يقرأه او يسمعه، ويفهم مبتغى الواعظ، سواءً كان أباً او عالماً او صديقاً، وان كان غير مباشر، فيتغير وتتفجر فيه الهمة العالية، وقيل، مَن لَم يَهدِه قَليلُ الإِشارة لَم يَنفَعهُ كَثيرُ العِبارَة. يقول ابن الجوزي : «**اذا سمعوا موعظة غرست في قلوبهم نخيل العزائم**».

انتبه فالوقت يمضي

اذا حدثتك نفسك بأمر خير فإياك ان تؤخره، فانك لا تعلم ربما لن تمنح وقتاً آخر تستطيع ان تنجز ذلك الامر فتندم لفوات الوقت، يقول ابن الجوزي : «**ولا تبق فعل الصالحات**

الى غدٍ، لعل غداً يأتي وانت فقيد» وقد لا تكون فقيد، وانما عاجز عن القيام بذلك العمل.

بادر بالتغيير

- ايها العاقل
- ايها الفطن
- ايها المسلم

العيب ليس في الخطأ، انما بالإصرار عليه، والتكاسل عن التغيير للأفضل، فكل يوم شهيد عليك، يستشهد ابن الجوزي بأبيات لمحمود الوراق يقول فيها :

«مضى امسك الماضي شهيداً معدلا

واتبعه يوم عليك شهيد

فان تك بالأمس اقترفت اساءة

فبادر بإحسان وانت حميد».



غفلة المؤمن

ان من ابجديات الايمان الا يغفل المؤمن عن السؤال يوم

القيامة والجزاء، ولكنه اخفى عنه المصير، الى جنة او نار، حتى يكون ذلك محفزاً له للعمل حتى الرمق الاخير، يقول ابن الجوزي: **«يا عجباً من غفلة مؤمن بالجزاء والمسألة، أيقين بالنجاة؟ أم غرور وبَلَه»**

في تفاصيل حياتنا رحلات كثيرة، بل وفِي كل حركة (من وإلى) رحلة، افلا يدعونا ذلك لسرعة الاستدراك قبل الرحلة الاخيرة؟ يقول ابن الجوزي: **«يامن يرحل في كل لحظة عن الدنيا مرحلة، وكتابه قد حوى حتى قدر خردلة، كن كيف شئت، فبين يديك الحساب و الزلة»**.

توبة اللسان

في كل ركعة من الصلاة يقول المصلون في الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[1]، وما ان ينتهي الكثيرون منهم حتى يعودوا الى معاصيهم وكسلهم وتوانيهم، فهل هي توبة باللسان فحسب؟ يقول ابن الجوزي: **«يا هذا متى تبت بلسانك، وما حللت عُقد الاصرار من قلبك، لم تصح التوبة»**.

الفوز بالجنة لا يتم بالأمنيات، بل بالعمل الجاد والمستمر

(١) الفاتحة: ٦

والخالص لله، لذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[١] لذلك لن يتقبل الله دعاءً مجرداً من العمل، وهذا ما عناه ابن الجوزي «**يا هذا متى تبت بلسانك، وما حللت عُقَد الاصرار من قلبك، لم تصح التوبة**».

هناك فرق شاسع بين من يرفع يديه للدعاء بحرقة قلب، والحاح ودموع، ويقين بالاستجابة، وبين من يدعو عادة، او ان اعماله تخالف دعاءه، يقول ابن الجوزي: «**يا هذا اذا لم يتحقق قصد القلب، لم يؤثر النطق باللفظ، ان المكره على اليمين لا تنعقد يمينه**».

الظل الزائل

يقول ابن الجوزي:

قالت الدار تفانَوْا فمضوا ... وكذا كل مقيم إن ثبت
عاينوا أفعالهم في تربهم ... فاسأل الأجداث عما اسْتُودعت
كل نفس سوف تلقى فعلها ... ويح نفس بهواها شُغِلت
إنما الدنيا كظل زائل ... أو كأحلام منام ذهبت

(١) الإسراء: ١٩



نسائم الرجاء

لابد للمؤمن ان يعيش متوازناً بين الخوف والرجاء، فان غلب الخوف نتج اليأس، وان غلب الرجاء نتج التواكل، فعليه الانتباه من غلبة جانب على جانب، يقول ابن الجوزي: «**قوي حصر الخوف فاشتد كرب القوم، فكل ما هب نسيم من الرجاء ولوا وجوههم شطره**».

أيام العافية

هذه الجوارح التي اودعها الله عندنا، اذا لم نؤد حقها فانه يسترجعها، والعاقل هو من يستغل هذه الجوارح مادامت لديه، بكل ما اوتي من قوة لملأ كتابه بما يرفع مقامه يوم القيامة وينجيه من النار، يقول ابن الجوزي: «**أيام العافية غنيمة باردة**». فأين من يتدبر ويتفكر ثم يعمل؟

الفراغ نعمة

قيمة نعمة الفراغ تكمن في استغلالك للوقت بما ينفع، ولكن اكثر الناس يفرطون بالفراغ اذا ما توفر، لذلك قال النبي ﷺ: «**نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**»[(١)]

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٦٤١٢

يقول ابن الجوزي : «**اوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة**».

جوارحك امانة فانتبه

هذه الجوارح التي هي طوع لنا، نستخدمها متى ما شئنا وكيفما شئنا، ستكون يوم القيامة شاهدا لنا او علينا، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١) وما زلت في الدنيا فاستغلها بالخير بكل ما تملك من طاقة، يقول ابن الجوزي : «**كن قيّماً على جوارحك، وفيها الحظوظ، واستوف منها الحقوق**».

اياك الوصول للسجن الثامن

يقول ابن الجوزي :

«**يا هذا، إنك لم تزل في حبس، فأول الحبوس صلب الأب، والثاني بطن الأم، والثالث القماط، والرابع المكتب، والخامس الكد على العيال، والسادس الموت، والسابع القبر فإن وقعت في الثامن نسيت مرارة كل حبس**». الا وهو النار، فاحذر دخول هذا الحبس.

---

(١) فصلت: ٢١

سجن العقل

العقل اجلّ نعمة خلقها الله للإنسان، فمن خلاله يعرف الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والضار من النافع، ولكن الانسان يعطل اداءه عندما يغلّب الهوى عليه، يقول ابن الجوزي : «**الى متى تسجن عقلك في مطمورة هواك**».

آه لو تصغوا الى عقولكم

العقل لا يوصلك الا الى بر الامان، ولا ينصحك الا بما ينجيك، ولكن من يستمع ؟ يقول ابن الجوزي : «**ما زال العقل يضرب الامثال، ويشرح العواقب، ولكن من يسمع ؟**».

قبور الصالحين وقصور المذنبين

المذنبون وان علت منازلهم في الدنيا، فلا يذكرهم الناس في حياتهم وبعد مماتهم الا بما اذنبوا، والصالحون وان دنت منازلهم في الدنيا لا يذكرهم الناس في حياتهم وبعد مماتهم الا بالخير، يقول ابن الجوزي: «**مُروا بقصور المذنبين تجدوا اخبارهم مُرا، وجُوزوا على قبور الصالحين، فقد جُوزوا في العاجل ذكرا**».



صفات اصحاب الهمم العالية

يستشهد ابن الجوزي بأبيات الشريف الرضي يصف فيها اصحاب الهمم العالية فيقول :

والحر من حذر الهوان   يزايل الأمر الجسيما

والعاجز المافون   اقعد ما يكون إذا أقيما

هذا هو حال اصحاب الهمم العالية، الذين يستنشقون عطر الحرية ويتذوقونها، ويخشون السقوط في مستنقع الذل والهوان والتردي في هاوية المهانة والضعف، عندما يتركون تسلق الجبال والتحدي باقتحام الصعاب، وهذا ما عناه الشاعر الشريف الرضي عندما قال :

والحر من حذر الهوان   يزايل الأمر الجسيما

لعلنا نلحق بهم

كم نرى في حياتنا من ادركوا هدف الحياة وساروا نحوه بخطأ ثابتة، والكثير منا كان يتمنى ان يكون مثلهم دون بذل اي جهد لتحقيق هذه الاماني، يقول ابن الجوزي : **«رحل القوم وتخلفنا، وبادروا ايامهم وسوفنا، وعرفنا طريقهم لكنا انقطعنا،**

فسيروا بِنَا، فان لحقنا، والا تأسفنا».



الافاقة المؤقتة

كثيرون يتأثرون ساعة إلقاء المحاضرات والمواعظ والخطب، ولكن هذا التأثر يزول بمجرد انتهاء هذه الموعظة، هكذا يصف ابن الجوزي حالة هذه الفئة فيقول :

«تفيق في المجلس لحظة، ثم تذكر الشهوات فيغمى عليك»

وهنا يظهر معدن الذين زكوا انفسهم فافلحوا.

الوثوب على الهوى

الوثوب لغة : القفز والهجوم والانقضاض والارتماء، وكلها معان تدل على رغبة جامحة للوصول السريع، يقول ابن الجوزي : **«متى وثب الفهد على الصيد ثلاث مرات ولم يدركه، غضب على نفسه، كم قد وثبت على هواك مرة، فلم تقدر عليه، فاين غضبك على التقصير ؟»**.

نوم القلب

النائم لا يحس بما يدور حوله، لا يسمع ولا يبصر، ولا يدرك، ولا يتحرك، انه موت مؤقت، تخيل ان ينام القلب فلا ينتفع بما يبصر او يسمع، فماذا يكون المصير ؟ يقول ابن

الجوزي : «**كيف يوقظ من قد نام قلبه ؟ لا عينه ولا جسمه، ويحك تدارك امرك قبل الفوت**».

رحل المطعوم وطعمه

يصل الحال ببعض العصاة انه حتى وان لم يجد لذة في المعصية فانه يستمر فيها، لغلبة الهوى عليه، يقول ابن الجوزي : «**يامن يجول في المعاصي، قلبه وهمه، يا معتقداً صحته، فيما هو سقمه، يامن كل ما طال عمره زاد اثمه، اين لذة الهوى ؟ رحل المطعوم وطعمه**».

بين نومتين

من الناس من يستمر بالنوم طيلة حياته حتى يحين موعد النومة الاخيرة، ومنهم من ينام شطراً من حياته ثم يستيقظ فينطلق نحو العلا والقمم حتى النهاية، فيذوق لذة الدنيا والاخرة ؛

يقول ابن الجوزي :

واعقب من النوم التيقظ راشدا فلا بد للنوام من يقظات

همة الانسان وهمة البهيم

يقول ابن الجوزي : «**لمَّا عزَّت نفسُ البَبْغاء، زاحمت الآدميِّين في النطق، وشابهتهم في تناول مطاعمهم بيدها، فالعجبُ لبهيمٍ يتشبَّه بإنسان، ولإنسانٍ يتشبه بالبهيم!**»

لقد ماتت عند بعض الناس الهمة حتى تفوق عليهم الكثير من البهائم.

محاسبة الداعية لنفسه

عندما يرى الداعية تهافت الناس على دروسه ومواعظه ودعوته، قد يصيبه بعض الغرور، فلا بد من وقفة محاسبة مع نفسه، فهذا هو ابن الجوزي يحاسب نفسه فيقول: «**إلهي أيقظتني في الصبا؟ وأقمتني أدل الخلق عليك**».

يستمر ابن الجوزي في محاسبة نفسه مقراً بما تفضل الله عليه من النعم ومتذللاً اليه فيقول : «**ومزجت كأس نطقي بعذوبة، وجعلتني في أخباري معروفًا بالأمانة، فركن إلي أهل المعاملة، ولو عرفوا إفلاسي ما عوملت، إلهي طال ما اجتذبت العصاة بعد أن تهافتوا في النار، فيصدرون وارد؟ سيدي إن لم أصلح للرضا فالعفو العفو**».

البطّال ومنازل الابطال

لن تصل الى القمة الا من بعد تعب، وما وصل من وصل الا بعد جهد، وفرحة الانجاز انما تكون بعد تعب، يقول ابن الجوزي : «**لا يطمعن البطّال في منازل الابطال، ان لذة الراحة لا تتناول بالراحة، من زرع حصد، ومن جد وجد**».

أعجمي الفهم

قد تمنع العجمة من فهم اللغة العربية، ولكن هناك نوع من العجمة عند من ولد عربيا وبين ابوين عربيين، وينطق العربية ويفهمها، انها عجمة الفهم، ابن الجوزي ينادي هؤلاء فيقول :«**يا اعجمي الفهم، متى تفهم؟ يا فرِحاً بلذة عقباها جهنم، ستدري متى تبكي، ومتى تندم، اذا جثا الخليل، وتزلزل ابن مريم**».

من يدرك المجد؟

مجنون من يظن ان المجد والنجاح يدرك بالأحلام

والامنيات، يقول ابن الجوزي:

- **«المال لا يحصل إلا بالتعب**
- **والعلم لا يدرك إلا بالنصب**
- **واسم الجواد لا يناله بخيل**
- **ولقب الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل**

الناجحون والمدركون للقمم وصلوا بالتعب والنصب والمشقة والصبر،

يستند ابن الجوزي لقول المتنبي:

لا يُدرِكُ المَجدَ إلا سَيّدٌ فَطِنٌ   لِمَا يَشُقُّ عَلى السّاداتِ فَعّالُ

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ؛   ألجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ

أعظم عذاب اهل النار

جهل الناس بالله، سواءً برحمته او بعقوبته، هي اهم اسباب التوغل بالمعاصي او التقصير بالطاعات، يقول ابن الجوزي: «**أعظم عذاب اهل النار، جهلهم بالمعذّب، لو صحت معرفتهم بالمالك، لما استغاثوا يا مالك**».



ما يغفل عنه بعض الدعاة

يتحدث ابن الجوزي عما يغفل عنه بعض الدعاة، عندما ينهمكون في دعوة الغير، وينسون أنفسهم و اقرب الناس اليهم (ابناؤهم، وزوجاتهم) فيقول : «**واحسرتا، أأكون كالقوس، رفعت السهم فمر ولم تبرح؟ أأصبر كالإبرة تكسو غيرها، وهي عريانة؟**».

يكمل ابن الجوزي حسرته على حال بعض الدعاة الذين يغفلون عن تربية ابنائهم واهل بيتهم لكثرة انشغالهم في امور الدعوة، فيتفاجئون بانحرافهم، فيقول : «أأشبه حال الشمعة أضاءت غيرها باحتراق نفسها؟».

طلاق الدنيا

غالباً فان ابرز اسباب الطلاق عيب يكتشفه احد الزوجين بالآخر، ويصعب تقويمه، فيتم قرار الطلاق، ولكن بعضاً من هؤلاء لا يرى ذلك العيب، يقول ابن الجوزي : «**لو تأملتم عيب الدنيا، لهان طلاقها :**

سرور الدهر مقرون بحزن   فكن منه على حذر شديد»

مصطلح (طلاق الدنيا) الذي يورده بعض ارباب الزهد في تراجمهم، ومنهم الامام ابن الجوزي، لا يقصدون فيه (اعتزال) الدنيا، بل ما يعنونه، عدم التعلق بها الى درجة نسيان او التقصير في العمل لما هو مخلوق من اجله، وهو (العبادة).

والمقصود هو عدم التعلق القلبي، بل وضع الدنيا باليد لا بالقلب.

لا تحتقر نفسك

يقول ابن الجوزي : **«يا هذا لا تحتقر نفسك، فالتائب حبيب،**

والمنكسر مستقيم،

اقرارك بالإفلاس غنى،

اعترافك بالخطأ اصابة،

تنكيس رأسك بالندم رفعة»

هذه بعض حروب ابليس وضغوطاته حتى يرجعه الى ماضيه الآسن، ويخوفه من حياة التوبة الطاهرة.

طريق الوصول

التوبة تحتاج الى عزيمة كالجبال، ومداومة على السير، وقوة ويقين بسلامة القرار، اما التردد وضعف السير فلا شك انها تعيد التائب من حيث اتى، يقول ابن الجوزي : «**طريق الوصول صعبة، وفِي رجلك ضعف، ويحك دُم على السلوك تصل**».

ثمن المعالي

من اراد الفردوس الاعلى، ومعانقة الحور، والمشي على الزعفران واللآلئ ومشاهدة وجه الله العظيم يوم القيامة، لا بد ان يدفع الثمن المكافئ لهذا النعيم، من العزيمة العالية وقوة السعي لهذا الغرض، يقول ابن الجوزي: «**ثمن المعالي جد الطلب، والفتور داء مزمن**».

تأوهات داعية

يتأوه الامام ابن الجوزي من امور، على راسها الغفلة، فيقول : «**آه لنفس رَفَلت من الغفلة في اثوابها، فثوى بها الامر الى عدم ثوابها**» اي تبخترت نفسه وتعالت مما هي فيه من الغفلة، فثوى لها الامر، اي اوصلها واستقر بها الامر الى

فقدان الثواب، والخاتمة السيئة، فان الغفلة تعمي صاحبها عن مشاهدة الحقيقة والمآل.

يتأوه الامام ابن الجوزي من عيون عميت عن مشاهدة الحق، فانشغلت بالتوافه من الامور، حتى جفّت من دموع الاحساس بالتقصير والخطأ، فيقول: «**آه لعيونٍ اعشاها الامل، فسرى بها الى سرابها**» فكل زينة الارض سراب يحسبه الظمآن ماءً، لأنه لا بقاء له.

يتأوه الامام ابن الجوزي من قلوب غفلت عن المعجزة الباقية، والرحمة وشفاء القلوب والابدان «**القرآن الكريم**» الى الهوى الذي اعماها واخذها بعيدا عن صراط الله المستقيم، فيقول: «**آه لقلوب قلبها الهوى عن القرآن الى ربابها، فربا بها**».

يتأوه الامام ابن الجوزي لبعض الوالغين حتى النخاع في المعاصي والغفلة، فيتألم لما وصلوا له من الحالة، وكأنهم في حالة الاحتضار ولا امل من الشفاء الا ان يشاء الله، فيقول: «**آه لمرضى، علم الطبيب قدر ما بها، وقد رمى بها**» فإياك ان تصل الى مرحلة الاحتضار في غفلتك عن الحق، وابق شيئاً من الجسور، فلعلك تعود.

قيمة قطرة الدم والدمعة

ما اعظم دمعة تخرج من صاحب عين نادمة، وما اعظم قطرة دم في سبيل الله، وما اعظم اعتذار بين يدي الله، هكذا يذكّر ابن الجوزي الغافلين عنها فيقول:

«ويحك

دمعة فيك تطفئ غضبنا،

وقطرة من دم في الشهادة تمحو زللك

ونفس أسف ينسف ما سلف».

سلع لاتُباع

مغفرة الرب على ما يقترف المرء من الجرائم والمعاصي لاتباع، وتؤخذ بالواسطة او بالمنصب والجاه، لا تمنح الا بتوبة نصوح، يقول ابن الجوزي: «**سِلع (واني لغفار)لاتباع الا بدينار (لمن تاب)** . . . .»

فبادر بتوبة صادقة اذا كنت حريصا على تلك المغفرة،

تملك ايها الانسان اثمن السلع واغلاها، فلا تضعها في غير موضعها فتهبط قيمتها، يقول ابن الجوزي: «**يا هذا عندك بضائع نفيسة:**

دموع ودماء، وانفاس وحركات، وكلمات ونظرات، فلا تبذلها فيما لا قدر له»

يتعجب ابن الجوزي و يتأسف على من ينفق هذه السلع النفيسة في غير موضعها فيقول :

«أيصلح ان تبكي لفقد ما لا يبقى ؟

او تتنفس اسفاً على ما يفنى ؟

او تبذل مهجة لصورة عن قليل تمحى

او تتكلم في حصول ما يشين ويثوى».

تلك السلع النفيسة التي يملكها الانسان ويضعها في غير موضعها **«الدموع والدم والانفاس والكلام والحركات»** معظم الناس يخطئون باستغلالها، فتفقد بريقها، وتسقط قيمتها، فكم نرى دموعا على موت تافه او طاغية، وكم نرى تأسف وحزن على فوات معصية، وكم نرى من الدماء للدفاع عن مجرم ظالم، او في سبيل معصية.

الاذكياء

- حقيقة الحياة انها جسر للآخرة
- حقيقة الحياة انها مؤقتة

- حقيقة الحياة انها زائلة
- حقيقة الحياة انها دار بلاء
- حقيقة الحياة انها دار عمل

من هذا الفهم يتمايز الناس يوم القيامة، لذلك قال ابن الجوزي : «**من عرف شرف الحياة اغتنمها**».

لا توجد طاعة من غير جزاء

فمن الطاعات من أوضح الشارع جزاءها، ومنها ما اخفاها، والحكمة من اظهارها هي التحفيز لعمل الخير، والحكمة من الاخفاء اختبار قوة الايمان، لذلك يقول ابن الجوزي :

«**من علم ارباح الطاعات لزمها**» ملازمة لا انفكاك عنها، طمعا بما وعد الله، وما عند الله خير وابقى.

يسير الذنب ويسير الطاعة

لعل اليسير من الطاعات هي التي تدخلك الجنة، ولعل اليسير من المعصية يدخلك النار، يقول ابن الجوزي :

«**لا تحقرن يسير الطاعات، وربما احتيج الى عُويد منبوذ،**

لا تحقرن يسير الذنب، فان العشب الضعيف يُفتل منه الحبل القوي».

الطمع يخنق صاحبه

- الطمع يعمي صاحبه رؤية المخاطر
- الطمع ينسي صاحبه مرارة الحرام
- الطمع يوصل صاحبه الى المهالك
- فطمع الطائر يعميه عن رؤية الفخ

يقول ابن الجوزي : «**الطمع يخنق العصفور قبل الفخ**».

القناعة والحرص

مطلوب من الانسان بذل الاسباب ثم تفويض الله بأموره، وهذا من تمام التوكل، والله متكفل بالأرزاق ما دمت قد توكلت عليه، واهلاك النفس بعد ذلك لا يزيد مما كتبه الله لك، يقول ابن الجوزي : «**لما قنعت العنكبوت بزاوية البيت، سيق لها الحريص، وهو الذباب، فصار قوتاً لها**» بذلت وتوكلت فرزقها الله.

وثبة الجاهل

احد ابرز اسباب اقتراف المعصية طاعة الهوى، وتجاهل ما يقوله العقل، وهذا هو الفرق بين الطائع والعاصي، فهذا يستخدم عقله وهذا يلغيه، يقول ابن الجوزي : «**لما تزينت زخارف الدنيا، تواثبت جهال الطبع، لاتباع الهوى، فبعث العقل كافاً لهم**».

ضوء الاجل

الشفق ما تبقى من الضوء بعد الغروب، ومدته قليله وضوؤه خافت، والمؤمن الحق من يخشى مجيئ اللحظة التي يودع فيها الحياة، ولعله لم يبق من الحياة الا الشفق كما يصفها ابن الجوزي عندما يقول : «**بقى من ضوء الاجل شفق، فاستدرك باقي الشعاع، قبل غروب الشمس**» فإذا جاء الموت انقطع العمل.

آلام التسويف

لن يدرك المسوف خطورة التسويف و ألمه الا عند الاحتضار ويوم العرض، حيث تكثر كلمة «**يا ليت**» لذلك ينبه ابن الجوزي المسوفين ويقول لهم : «**البدار البدار قبل الفوت، الحذار الحذار قبل الموت، ما في المقابر من دفين الا وهو متألم من سوف**».

خوف الصحابة

ينقل ابن الجوزي بعض اقوال الصحابة ﭬ والتي تدلل على مدى خوفهم من الله تعالى، حيث يقول : «**رأى الصديق طائراً فقال: طوبى لك يا طائر، تقع على الشجر، وتأكل الثمر، ولا حساب عليك، ليتني كنت مثلك**» انه الخوف من الحساب يوم القيامة.

يكمل ابن الجوزي بعض اقوال الصحابة ﭬ والتي تدلل على مدى خوفهم من الله تعالى، حيث يقول :«**قال عمر : ليتني كنت تبنة، ليت امي لم تلدني**» وهذا يمثل لون اخر من الخوف، حيث لم يتمن ان يكون طيرا كما تمنى الصديق، بل تمنى ان يكون جماداً، او حتى لم يخلق، لشدة خوفه من الحساب يوم القيامة.

يكمل ابن الجوزي بعض اقوال الصحابة ﭬ والتي تدلل على مدى خوفهم من الله تعالى، حيث يقول :

«**قال ابن مسعود : وددت اني مت لا ابعث**» وهذا ابن مسعود يتمنى الا يبعث بعد موته، حتى لا يمثل امام الرب للحساب، خوفاً من الله، رغم انهم ملئوا اعمارهم بأعظم الاعمال.

ويكمل ابن الجوزي نقل صور الخوف لدى الصحابة رضي الله عنهم حيث يقول : «**قال عمران ابن الحصين : ليتني كنت رماداً، وقال ابو الدرداء : ليتني كنت شجرة تعضد، وقالت عائشة : ليتني كنت نسياً منسياً**» هكذا كانت عبارات الجيل الذهبي من البشر، لشدة خوفهم من الحساب يوم القيامة، فاين نحن من ذلك ؟؟.

يا نائم الليل كله

ينادي ابن الجوزي النائمين في رحلة الحياة، وقد رحل عنهم المرافقون في الرحلة، وهم ما يزالون يغطون في نوم عميق «**يا نائماً طول الليل، سارت الرفقة، رحل القوم كلهم، وما انتبهت من الرقدة**» ولن يصحو الا وهو يتلفظ الانفاس الاخيرة، حينها لا ينفع الصحو والاستيقاظ.

شاطئ الشطط

يخاطب ابن الجوزي الموغلين في المعاصي، الغافلين عن لحظة المغادرة، فيقول :

«**يا نازلاً فسطاط الهوى على شاطئ الشطط، يا مُمْهَلاً لا مهملاً ما عند الموت غلط، كم سلب وضيعاً وشريفاً سلباً عنيفاً وخبط**».



البحث عن قلب ضائع

كم من الغافلين قد ختم الله على قلبه فضاع، وفقد مصادر الاحساس، فاصبح جسداً بلا قلب، ينصحه ابن الجوزي ان يبحث عن قلبه فيقول له :

«يامن ضاع قلبه، اطلب قلبك في :

- **مجالس الذكر،**
- **او بين اهل المقابر،**
- **او ربما دخلت بيت الفكر فرأيته».**

اورد ابن القيم في كتاب الفوائد قول الصحابي ابن مسعود **«اطلب قلبك في ثلاث مواطن :**

- عند سماع القران
- وفِي مجالس الذكر
- وفِي اوقات الخلوة فان لم تجده في هذه المواطن فسل الله ان يمن عليك بقلب، فانه لا قلب لك»

من خلال ما ذكره الصحابي الجليل ابن مسعود والامام ابن الجوزي تبين لنا ان هناك اربعة مواضع للبحث عن القلوب

الضائعة، وهي :

- مجالس الذكر
- عند سماع القرآن
- بين اهل المقابر
- في اوقات الخلوة

وصدق الله حين قال : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١] وقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾[٢] .

استدرك قبل فوات الاوان

خمسة خطوات ينصح بها ابن الجوزي العصاة ليستقيم امرهم :

① «تشبه بالقوم وان لم تكن منهم

② وابعث بريح الزفرات سحاب دمع ساجم

③ وقم في الدجا نادباً

④ وقف على الباب تائباً

(١) الرعد: ٢٨

(٢) الإسراء: ٨٢

⑤ **واستدرك من العمر ذاهباً»**

انه التشبه، والندم، والقيام، والتوبة، والعمل الحثيث ؟

ياقوت الندم

في الدنيا افخاخ كثيرة، من انتبه لها نجا، ومن غفل عنها سقط فيها، لذلك يحذر ابن الجوزي منها، ويعلمنا فن التعامل معها، فيقول :

«اياك والدنيا :

فان حب الدنيا مبتوت،

واقنع منها باليسير، فما يعز القوت

ياقوت الندم يغني عن الياقوت،

احذر منها فإنها اسحر من هاروت وماروت»

الرحيل قد تدانى

الموت لا يعرف معافاً ولا سقيما، ولا يعرف صغيرا ولا كبيرا، ولا غنيا ولا فقيرا، ولا متعلما ولا جاهلا، فكم يدرك هذه الحقيقة ؟؟

يقول ابن الجوزي : «**يا مدعواً الى نجاته وهو يتوانى، ما هذا الفتور ؟**

الرحيل قد تدانى، يا مقبلاً على هفواته لا يألو بهتانا، كأنك بالدمع يجري عند الموت تهتانا»

العاقبة الحتمية للظالم

لقد توعد الله الظالم بأشد العذاب في الدنيا والاخرة، ومما يذكره ابن الجوزي في هذا السياق :

«**كم من ظالم تعدى وجار ؟**
فما رعى الاهل ولا الجار،
حل به الموت، فحل الازرار،
وأدبر عن الاوامر فأحاط به الإدبار».

ثمار المدائح

من اتعب نفسه في مجاهدة ما تدعوه من الحرام، وصدق في هذه المجاهدة، لابد ان تثمر بشائر ربانية، ومدائح قرآنية يبشر بها بالدنيا قبل الاخرة، ويمثل ابن الجوزي المجاهدة

بالغرس، حيث يقول: «**اذا تلاحقت غروس المجاهدة، تلاحقت ثمار المدائح**“ ومنها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[1].

لسفر الليل رجال

عبادة الليل عظيمة، واعظم ما فيها الثلث الاخير منها، حيث ينزل الرب فيها، وعندها تحلو المناجاة، ولا يستطيعه الا العظماء، يقول ابن الجوزي: «**سفر الليل لا يطيقه الا مُضمِر المجاعة، النجائب في الاول، وحاملات الزاد في الاخير**» هكذا هي قافلة الحياة يقودها النجباء من الرجال.

أستار الدجى

كم من الخلق لا يدرك حقيقة الحياة الا في اخر العمر، فيندم على عمر ضيعه بما لا ينفع، يقول ابن الجوزي : «**قام المتهجدون على اقدام الجد، تحت ستر الدجى، يبكون على زمان ضاع في غير الوصال**».

---

(١) الشمس: ٩



بحر الوجود

الناس في هذه الحياة اصناف، ارقاها من فهم الهدف من الخلق، وعمل لذلك، وهم العلماء والعُباد، يقول ابن الجوزي :

- **«واعجباً بحر الوجود قد جمع الفنون**
- **العلماء جوهره،**
- **والعُبّاد عنبره،**
- **والتجار حيتانه،**
- **والاشرار تماسيحه،**
- **والجُهال على رأسه كالزبد».**

نقاب الدنيا

معظم الناس لا يعرفون حقيقة الدنيا، فيهلكون حياتهم كلها من اجلها، يبيعون النعيم الدائم بالنعيم الزائل، ويحسبون انهم هم العقلاء، وطلاب الاخرة هم الاغبياء، يقول ابن الجوزي : **«كشف لهم (اي الموت) نقاب الدنيا، فاذا المعشوقة عجوز، ما رضيت الا قتلهم، وكم تدللت بالنشوز».**

يقول تعالى مخاطباً العقول : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِنـدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[١] فكل ما يعطى للإنسان في هذه الحياة من مال ومنصب وجاه واولاد وصحة وشهوات، فإنما هي متعة مؤقتة زائلة، وما عند الله افضل منها وادوم، فاين عقولكم عند المقارنة.

ويخاطب الله تارة اخرى العقول لتتأمل وتقارن، فيقول: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾[٢] فهل يستوي من وعده الله بالجنة والنعيم الدائم مقابل طاعته كمن اعطاه الله بعض هذه النعم الزائلة ثم يحضره الله يوم القيامة للمحاسبة والعقاب لمعصيته.

ويبين ابن الجوزي حقيقة الدنيا من تحت ذلك النقاب، فهي صحراء قاحلة، وهي مستشفى امراض وليس شفاء، فيقول:

«الدنيا فلاة، فلا تأمن الفلا،
بل تيقن انها مارستان[٣] بَلا[٤]»،

---

(١) القصص: ٦٠
(٢) القصص: ٦١
(٣) المارستان هي المستشفى.
(٤) بلا ـ أي البلاء.

ولا تسكن اليها وان اظهرت الولا»



رحل القوم

من ادرك حقيقة الدنيا، وانها زائلة، وان عمره فيها محدود، لن يترك دقيقة دون ان يملأها بعزيمته بما يثقل ميزانه يوم القيامة، يقول ابن الجوزي للكسالى : «**رحل القوم يا متخلف، وسبقوك بالعزائم يا مسوف**»

آه لو صبرتم

الجنة هي سلعة الله الغالية، هذه السلعة الغالية لا يمكن الوصول لها بالنوم والكسل، بل بالتعب والصبر والمجالدة والمجاهدة، يقول ابن الجوزي : «**لو صبرتم مشقة الطريق، لانتهى السفر، فتوطنتم مستريحين في جنات عدن**».

قلوب متعلقة بالآخرة

من الناس من ادرك معنى الدنيا الحقيقي فكرس حياته كلها لذلك الهدف، ولم يضيع لحظة دون استغلالها فيما ينفع، يقول ابن الجوزي عن الزاهد الجنيد : «**دخلوا على الجنيد عند الموت وهو يصلي، فقيل له : في هذا الوقت ؟**

فقال : الان تطوى صحيفتي».



استشعار العبودية

معظم المسلمين يؤمنون بانهم عبيد لله تعالى، ولكن القليل من يدرك هذا المعنى العميق، فيعيش طبقاً لهذا الادراك، وهذا هو ابن الجوزي يذكر الغافلين عن هذا المعنى فيقول: **«يا هذا انت اجير، وعليك عمل، فاذا انقضى الشغل، فالبس ثياب الراحة»**.

من ادرك وعاش معنى العبودية ذاق طعم الايمان في صلاته، وذاق طعم الايمان في صيامه وسائر عباداته، هذا المؤمن بهذا الادراك يعي المعنى العميق الذي ذكره ابن الجوزي عن الاجير **«اذا انقضى الشغل فالبس ثياب الراحة»** ولا راحة كما قال ابن القيم الا تحت شجرة طوبى.

اليوم المعدود

اليوم المعدود في حسابك، وما سينفعك في آخرتك، وما سيكون سبباً في نجاتك، هو ذلك اليوم الذي ملأته بالقربات وجميل الطاعات، أما ذلك اليوم الذي كان فارغاً من هذه الطاعات فيقول عنه ابن الجوزي: **«رب يوم معدود وليس في العدد»**.



الجسد والروح

الجسد هو الوعاء الذي تحركه الروح لتحقيق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان، وهو العبادة، لذلك فالروح أمانة مسترجعة لمالكها في هذا الوعاء، فيجب اكرامها، والقيام بحقها، وعدم الإضرار بها لما لا يرضي مالكها، يقول ابن الجوزي: «**إنما الروح عارية في هذا الجسد**».

هل تقبل بان تكون حشرة؟

يقول ابن الجوزي: «**من لا همة له سوى جمع الحطام، معدود في الحشرات**» فكل زينة الحياة الدنيا حطام، لأنها تفنى ولا تبقى، وينبغي للعاقل ان يحرص على ما سيبقى وليس على ما سيفنى، والا فهمته تشبه همة تلك الحشرة التي تبحث عما يبقي حياتها بين حطام الحشائش وما يبس وذبل من النبات.

ايتها القلوب حطمي القيد

يقول ابن الجوزي: «**يا اطيار القلوب، الى كم في مزبلة الحبس؟**

اكسري بالعزم قفص الحصر،

واخرجي الى فضاء صحراء القدس،

روحي خِماصاً من الهوى، تعودي بِطاناً من الهدى» فالهوى عندما يسيطر على القلوب يكبلها، فيمنعها من الانطلاق في رحاب الايمان.

عندما يسيطر الهوى على القلوب، ويكبلها بالعواطف، يمنعها من الانطلاق والارتقاء في مدارج السالكين، مالم يقرر صاحبها كسر القيود بتجويع نفسه من الهوى، كالطير تغدو خماصاً، وذلك بسلوك طريق التائبين العابدين، حتى تعود منتعشة بالهدى، كالطير تعود بطاناً.

أين زمان الوصل

ابن الجوزي ينادي ويعاتب رجالاً كانوا من العُبّاد، والبكائين، الصوامين، ففُتنوا بالدنيا فهجروا عالم العبادة، فيقول: **«يامن كان له قلب فانقلب،**

- **قيام السّحَر يستوحش لك،**
- **صيام النهار يسئل عنك،**

● **ليالي الوصال تعاتبك»**.

حقا يتألم المرء ويخاف يتألم عندما يرى ويسمع عن رجال ونساء كانوا على الصراط المستقيم، يحافظون على صلاة الجماعة والالتزام بتفاصيل الدبن، ويعظون الناس فيبكون ويُبكون، ثم تبدل الحال وتحللوا من جميع او اغلب الالتزام، واصبحوا حتى ادنى من العوام، ويخاف ان يكون حاله مثل حالهم، نسال الله لنا ولهم الثبات وحسن الخاتمة.

عندما يتكلم الدمع

يقولون في الامثال «**ما في القلوب تخرجه الالسن**» ولكن الالسن لن تنافس الدموع عندما تتحدث، يقول ابن الجوزي : «**لسان الدمع افصح من لسان الشكوى**» فالدمع ترجمة حقيقية عن الندم، والندم اول شروط التوبة الصادقة.

الدمع اصدق انباءً من ادعاء التوبة، وهو كما ذكرنا اول شروط التوبة الصادقة، واصدق علامات التوجه الجديد للمفرط، لذلك قال ابن الجوزي : «**بكاء المفرط يضحك سن القبول**» بل هي بشارة القبول من رب العالمين.

الدمع انعكاس عَلى ما يعتلج في القلب من الندم، والتأسف

على زمانٍ مضى بالمعاصي والابتعاد، واعتراف بالضعف، ورغبة بالقبول في عالم الطهارة، لذلك فهذه الدموع غالية، يقول ابن الجوزي: «**قطرة من الدمع على الخد، انفع من الف مطرة على الارض**».



بادروا آجالكم

يقول ابن الجوزي: «**بادروا اجالكم،**

- **وحاذروا آمالكم،**
- **آمالكم عبرة فيمن مضى، أمالكم،**
- **ما هذا الغرور الذي أمالكم،**
- **ستتركون على رغم آمالكم مالكم**»

فمن اغبى الناس من يلهو بآمال زائلة عن الاستعداد لنهاية حتمية.

تحذيرات ربانية

يقول ابن الجوزي:

- «**صدقتم الامل فكذبكم،**
- **واطعتم الهوى فعذبكم،**

- ❐ اما انذركم السقم بعد الصحة،
- ❐ والترحة بعد الفرحة،
- ❐ في كل يوم يموت من اشباحكم ما يكفي في نعي ارواحكم»

هذه التحذيرات تتكرر، ولكن القليل من يفهم فيستدرك.

بحر الغرور

يقول ابن الجوزي: **«هذا بحر الغرور يقذف بالزبد، كم ركبه جاهل فغرق قبل البلد»** الغرور هو الافراط في حب الانسان لنفسه، بسبب نعمة انعمها الله عليه، مما يوصله الى التعالي على الاخرين، ونسيان فضل المنعم عليه، والمغرور هو اول الغارقين بسبب غروره.

ايها المقصر

يقول ابن الجوزي: **«ايها المقصر عن طلب المزاد، كيف تدرك المعالي بغير اجتهاد؟»** لا يمكن ان تدرك الراحة من غير تعب، ولا يمكن ان تذوق الحلو حتى تذوق المر، ولا يمكن ان تصل الى القمة دون ارهاق الصعود، هذا هو القانون في الدنيا.

ماذا جنى الراقدون؟

يقول ابن الجوزي : **«اين اهل السهر؟ من اهل الرقاد؟»** وهو هنا لا يقصد اهل السهر على المحرمات، بل يقصد اولئك الذين لا ينامون من الليل الا قليلا، ويسهرون لقيام الليل، وقراءة القران، ومدارسة العلم، والسهر على شئون المسلمين، اين هؤلاء من الذين لا يستيقظون الا قليلا، واذا استيقظوا قضوا وقتهم بالحرام.

متى نتعظ؟

يقول ابن الجوزي : **«كم عدنا مريضاً وما عدنا»** فعبادة المريض الهدف منها غير نيل الاجر، هو الاتعاظ، والشعور بنعمة الصحة والعافية، لتنكسر النفس لله حياءً، فتعود الى بيوتها اكثر اقبالاً وتقربا، ولكن قست قلوب الكثير، فما عاد منظر المرض والموت يحرك فيهم ساكناً.

انوار الوجوه بالطاعات

يقول ابن الجوزي : **«من صلى الليل، حسن وجهه بالنهار، شيمة المحبة لا تخفى، وصحائف الوجوه يقرؤها من لا يكتب»** انها آثار الطاعات، كما انها طمأنينة القلوب، فان تلك

الطمأنينة الداخلية تخرج فتطفح على الوجوه اشراقا، وعلى الاجساد قوة واقبالاً، يلاحظها اقل الناس فراسة.

خوادع الآمال

طلب المعالي في الدنيا حسن، ولكن يجب الحذر بالا ينسينا هذا السعي لطلب المعالي الدنيوية هدف خلقنا، وهو العبادة، وان الدنيا وسيلة ومعبر للوصول الى هذا الهدف، فالعمر محدود، يقول ابن الجوزي: «**الهي تلاعبت خوادع آمالنا ببضائع اعمارنا، فصرنا مفاليس**».

حال المتقين

يقول ابن الجوزي يصف حال المتقين: «**اذا جن الليل وظلامه، ثار سجن المحب وسقامه، ورمى الوجد، فأصابت سهامه، واستطلق مزاد العين، فانهل سجامه**» انهم يحبون الليل ليخلوا مع محبوبهم، يستغيثون ويبتهلون ويلهجون بالدعاء، ويبدون بعض ما في قلوبهم من الحب، فلا يملكون التحكم بدموعهم وهي تنساب على خدودهم.

يستشهد ابن الجوزي ببعض ابيات قيس بن الملوح عن محبوبته، ليقرب الصورة من حال المتقين مع ربهم

ومحبوبهم :

نَهاري نَهارُ الناسِ حَتّى إِذا بَدا لِيَ اللَيلُ هَزَّتني إِلَيكِ المَضاجِعُ

انه الحب الذي لا يشبهه حب دنيوي، حب المتقين لربهم والانس بالخلوة معه، لا يعدله حب.

ويصف حالهم ابن الجوزي في الخلوات فيقول : «**اذا جن عليهم الليل تراهم ساهرين، وهبت رياح الاسحار فمالوا مستغفرين، فاذا رجعوا وقت الفجر بالأجر نادى منادي الهجر : يا خيبة النائمين**» ما اروعه من حال، وما اسعدهم من بشر، لو يعلم الملوك ما هم عليه من السعادة لجالدوهم عليها بالسيوف.

ما اجمل ما وصف به الصحابي ابن مسعود حال المتقي صاحب القرآن «**ان يعرف بالليل اذا الناس نائمون، وبنهاره اذا الناس مفطرون، وببكائه اذا الناس يضحكون، وبورعه اذا الناس يخلطون، وبصمته اذا الناس يخوضون، وبخشوعه اذا الناس يختالون**».

قبضة من ماء

يمثل ابن الجوزي حقيقة زينة الدنيا بانها قبضة من ماء، فيقول «**ليس للماء في قبضة ممسك بثبوت - وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت**» وكذلك قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ

زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَـٰهَآ أَمْرُنَا﴾[(١)]

فكل شيء من زينة الدنيا هالك الا وجهه، هذه حقيقة ينساها الدنيويون الذين باعوا دينهم من اجل قبضة من ماء.

لله در الامام ابن الجوزي عندما مثّل زينة الدنيا **(كقبضة ماء)** والماء لا يقبض، ولا يثبت شيئًا منه عند محاولة القبض عليه، كذلك هي كل انواع زينة الدنيا، يظن القابض عليها دوامها، ولكنها في حقيقتها ليس لها ثبات ولا دوام:

- فليس للمال دوام
- وليس للشهوة دوام
- وليس للشباب دوام
- وليس للمناصب والسلطة دوام

وكلها (قبضة من ماء) فهل يعي ذلك المتهالكون على الدنيا.

رواحل الصدق

يقول ابن الجوزي: «**سافر القوم على رواحل الصدق، فقطعوا ارض الصبر، حتى وقعوا برياض الانس، فعبقت قلوبهم**

(١) يونس: ٢٤

ينشر القرب» كان الصدق هو منهجهم في الحياة، مع انفسهم، ومع الناس، ومع الله، والصدق يؤدي الى البِر، ويعطي الوقود للصبر، ولا شك ان من بلغ منزلة الصدق ذاق حلاوة الانس التي هي ثمرة القرب.

السادات والتحوت

عندما تنتهي الحياة يتساوى جميع طبقات الناس تحت التراب، فلا فرق بين فقير وغني، وحاكم ومحكوم، وعالم وجاهل، يقول ابن جوزي : **«اين من جمع المال؟ وملأ التخوت؟ تساوى تحت اللحود السادات والتحوت»** من استحضر هذه البديهية، لم يهلك نفسه ووقته من اجل دنيا زائلة.

اختار الامام ابن الجوزي مصطلح **«السادات والتحوت»** استلهاماً مما جاء في حديث البخاري عن بعض علامات القيامة، موت الوعول وظهور التحوت، **«ويهلك الوعول، وتظهر التحوت. قالوا : يا رسول الله، وما الوعول والتحوت؟ قال : الوعول : وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت : الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم»**.[١]

(١) أخرجه البخاري في التاريخ (١/٩٨/٢٧٥)

الوعول كما جاء في الحديث او السادات كما اطلق عليهم الامام ابن الجوزي، هم قادة المجتمعات، سواءً في المجال المالي او السياسي او القبلي او العلمي او الاخلاقي والديني، وقد يكونوا صالحين او طالحين، والتحوت هم عامة الناس ومن ليس لهم ما يميزهم او يبرزهم، وقد يكونوا صالحين او طالحين، جميع هؤلاء تحت القبر سواء.

حِمَام الحَمام

الحمام بكسر الحاء وفتح الميم هو الموت، فالموت عندما يأتي لا يهمه اي نوع من الطعام اكلت، واي رغد للعيش كنت تعيش، فهو يأتي للمريض والسليم والرياضي والكسول والعالم والجاهل، والحريص والمفرط، وصدق ابن الجوزي عندما قال: «**تالله ما يبالي حِمام الحَمام اي حب لقط**».

تحذيرات مبكرة

الغروب وجزر البحار ومجيئ الظلام والشيب، كلها تحذيرات مبكرة عن حقيقة انقضاء الحياة، فمن يعتبر ويستعد للآخرة؟

يقول ابن الجوزي : «**اما خط الشيب خط النهي ؟**

عن الخطّاء لما وَخَط ؟

اما آذن الشباب بالذهاب ؟

فماذا بعد الشمط ؟»

هان عليهم طول الطريق

اصحاب الحق استيقنوا واستشعروا وعد الله لهم فهان عليهم طول الطريق ومرارة البلاء، يقول ابن الجوزي : «**هان عليهم طول الطريق، لعلمهم اين المقصد، وحَلَت لهم مرارات البلاء حباً لعواقب السلامة، فيا بشراهم يوم - هذا يومكم -**».

أخبار المتقين

يقول ابن الجوزي : «**يا هذا، قد سمعت اخبار المتقين، فسر في سربهم، وقد عرفت جدهم، فتناول من شربهم، ثم سل من اعانهم يعينك**» التغيير لا يتم بالتنهد وآهات الاعجاب، بل بعزيمة يتبعها فعل، فالطريق واضحة وارباح السالكين لها اشد وضوحا.

بكاء الخائفين

البكاء له اسباب، ولكن من ابرز اسبابه الخوف من الله، من عقوبته ومن سوء الخاتمة، ومن عدم قبول العمل، ومن الرياء، يقول ابن الجوزي: «**البكاء موكل بعيون الخائفين، كلما همت بفتح طرف لتنظر الى طرف من طرف الدنيا، طرفته دمعة**».

الجد عزم وفعل

- الموت حق،
- والحياة محدودة بزمن،
- والجنة حق، والنار حق،
- والعاقل من يدرك ذلك ويسارع بالعمل، اما الاغبياء فيسوفون حتى يفجأهم الموت، يقول ابن الجوزي: «**الجد جد، فما تحتمل الطريق الفتور**».

سر ثبات وصلابة التائبين

ان من ابرز اسباب ثبات وصلابة التوبة ترك المألوفات، مما يخالف الشرع، يقول ابن الجوزي: «**شيدوا بنيان العزائم، بهجر المألوف، ليستحجر البناء، فنستغني ان نفرغ عليه قطراً،**

هكذا بناء الاولياء قبلكم».



معاشرة الجُهال

صدق رسول الله ﷺ «**المرء على دين خليله**» فالإنسان يتأثر ايجابيا او سلبيا، شاء او ابى بمن يكثر من الاحتكاك به، دون ان يشعر، يقول ابن الجوزي: «**احذر معاشرة الجُهال، فان الطبع لص**»، فاحذر عند الاختيار بمن تعاشر.

هِر الهوى

يقول ابن الجوزي مخاطبا حديثي التوبة، ومحذرا لهم من الانتكاسة «**يا افراخ التوبة، لازموا اوكار الخلوة، فان هِر الهوى صيود**» فالتائب الجديد يحتاج الكثير من الخلوات مع الله، حتى يقوي توبته ويزداد ثباته، لان الاحتكاك بالفاسدين من الناس له اكبر الاثر على التائبين الجدد.



معاشر المذنبين

يقول ابن الجوزي: «**يا معاشر المذنبين،**

- **ان كان يأجوج الطبع،**
- **ومأجوج الهوى،**

- **قد عاثوا في ارض قلوبكم،**
- **اجمعوا لي عزائم قوية،**
- **تشابه زبر الحديد،**
- **وتفكروا في خطاياكم،**
- **لتثور صعداء الأسف،**
- **فلا احتاج ان اقول : انفخوا»**

اذن فهما عاملان يعيناك على توبة نصوح (عزيمة وتفكر) ينتج عنهما ندم واسف يوصلان الى توبة نصوح.

كما ذكر الامام ابن الجوزي يخاطب المذنبين، ويرشدهم عما يعينهم على توبة نصوح، ذكر منها «**عزيمة كزبر الحديد**»، وتفكر عميق :

- **«بالخسائر التي جناها**
- **بالحساب يوم القيامة**
- **بضياع الفرص**
- **ببغض الناس**
- **بالعقوبة الالهية التي اصابته في الدنيا وستصيبه بالآخرة».**

هذا التفكير بالإضافة للعزيمة ستوصله الى بر الامان على

ساحل توبة نصوح.

ألوان الصّدَف

يقول ابن الجوزي : «**صبي الفهم يشغله لون الصدفة، والمتيقظ يرى الدرة، يا هذا اذا لاحت لك شهوة فقف متدبراً عواقبها**» متواضع الفهم يسميه ابن الجوزي «**صبي الفهم**» وما اكثر صبيان الفهم في هذه الحياة الذين لا يفكرون في ابعد ما يبصرون، لذلك يقعون في الكثير من حفر هذه الدنيا.

ما اكثر صبيان الفهم كما وصفهم ابن الجوزي الذين تأخذ البابهم الوان الصدفة ولمعانها وجمال الوانها المتماوج، ويغفلون النظر الى ما فيها من الدرر في كل امور حياتهم، يختار احدهم المرأة لجمالها الظاهري دون التركيز عن اخلاقها، وتبهرهم دعايات الكثير من السلع دون النظر بعمق لهذه السلع، فيقعون في الكثير من المشاكل.

صبيان الفهم من ابرز صفاتهم التركيز على الظاهر دون الباطن، وعلى المظاهر لا المخابر، ولذلك يقعون في الكثير من مشاكل الحياة، ويتورطون في الكثير من الاختيارات الخاطئة بسبب استعجالهم، وعدم الروِيّة في البحث قبل الاختيار، كذلك هم في اختيار زينة الدنيا الظاهرة دون

الالتفات لما يخسرونه من امور الآخرة.

يقول ابن الجوزي مخاطبا ضعيف الفهم الذي تغره الزينة الظاهرة «**يا هذا اذا لاحت لك شهوة فقف متدبراً عواقبها**» لو تدبر من فيه ذرة من عقل عواقب المعصية، وما اعده الله لمقترفها لما اقدم عليها، ولكن جمال ظاهر المعصية يعمي بصيرته عما في باطنها.

همة فرعون

يقول ابن الجوزي : «**خست همة فرعون، فاستعظم الحقير**» ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [(١)] «**يا دني النفس حمارك ينهق من كف شعير يراه، الدنيا كلها كجناح بعوضة فما نسبة مصر إليها**».

فعندما يستعظم المرء اي زينة من زينة الدنيا،

اولا : ينسى حجمها لبقية الزينة

ثانيا : وينسى انها لا تساوي شيء امام نعم الجنة ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [(٢)].

---

(١) الزخرف: ٥١

(٢) البقرة: ٢٥

همة عبّاد الدنيا لا تتجاوز متع الحياة الدنيا الزائلة، يستعظمونها، ويبيعون الغالي والنفيس من اجلها، صغروا فصغرت هممهم، بينما انظر الى الصحابي ربيعة بن كعب الاسلمي عندما سأله النبي ﷺ ان يطلب ما يشاء، تجاوزت رغبته متاع الدنيا كلها وقال: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ» (١).

مجانيق العزم

يقول الامام ابن الجوزي: «**اذا تحصن الهوى بقلعة الطبع فانصبوا مجانيق العزائم، وقد انهدم السور**» والطّبع يعني السجية وما اعتاد عليه من السلوك، سلبا وايجابا، والهوى ما تهواه النفس، فاذا ما توافق الهوى السيئ مع الطبع السيئ كان هلاك الانسان، ولا يغلب ذلك الا عزيمة وهمة عالية.

اذا توافق الطّبع السلبي مع الهوى فان في ذلك مهلكة للإنسان، والخروج من هذه الكارثة لا يكون الا كما ذكر ابن الجوزي بنصب (مجانيق العزم) لتهدم اسوار قلعة الطبع الذي يتحصن فيها الهوى، انه يحتاج الى همة عالية واصرار لإعادة الامور الى نصابها، حتى تمضي عملية التزكية بسلاسة.

---

(١) رواه مسلم ٤٨٩



مصير المغرور بالدنيا

يقول ابن الجوزي : «**ان لذّات الدنيا لَفَوارِك، وان موج بلائها لمتدارك، كم حج كعبتها قاصد؟ فقتلته قبل المناسك، كم علا ذروتها مغرور؟ فاذا به تحت السنابك**» جميع صرعى الدنيا جهلوا حقيقتها، وابرز هذه الحقائق انها ليست دائمة.

- **الحقائق التي يجهلها المغرورون بالدنيا كثيرة، من ابرزها :**
  - انها دار بلاء
  - انها جسر عبور
  - ان حلوها لا يأتي الا بعد مرارة
  - ان لذائذها لا تدوم
  - انها متقلبة الاحوال
  - نعمها تدوم بالشكر
  - وتزول النعم بالكفران
  - انها آيلة للزوال
  - لا يخلد فيها احد

- دار عمل لتحقيق هدف الخلق
- يكافأ المحسن في الدنيا والاخرة
- يعاقب المسيء في الدنيا والاخرة
- يكافأ المحسن بالسعادة
- يعاقب المسيء بضنك العيش

الذين يجهلون تلك الحقائق المتعلقة بالدنيا، ويتعاملون معها تعامل الجاهل، يتساقطون حتى ولو بلغوا اعلى القمم فيها، ومصيرهم كما ذكر ابن الجوزي «**كم حج كعبتها قاصد؟ فقتلته قبل المناسك، كم علا ذروتها مغرور فاذا به تحت السنابك**» والادهى انهم يَرَوْن مصير من سبقهم، فيمارسون ذات الجهل معها فتصرعهم.

ولمن يصر على جهله بالدنيا يقول ابن الجوزي: «**الدنيا مزرعة النوائب، ومشرعة المصائب، ومفرقة المجامع، ومجرية المدامع، كم سلبت اقواماً اقوى ما كانوا؟ وبانت احلى ما كانت احلاماً فبانوا، ففكر في اهل القصور والممالك، كيف مُزقوا بكف المهالك، ثم عد بالنظر في حالك، لعله يتجلى القلب الحالك**».

ضياء الشباب

يقول ابن الجوزي : «**دنو الشيب ينسخ ضياء الشباب، وكلما نادى الامل (فابلغه مأمنه) صاح الاجل -فضرب الرقاب-**» فكلما مضى بك العمر تذكرت ايام الشباب، وتحسرت على ضياعها، وتمنيت لو انها تعود، وكلما قاومت مظاهر الكبر، الشيب والتجاعيد وتناقص القدرات، كلما قال لك الاجل انا قادم.



بئس ما اخترت

يقول ابن الجوزي :

- «**يا تائهاً في ظلمة ظُلمه**
- **يا موغلاً في مفازة تيهه**
- **يا باحثا عن مُدية حتفه**
- **يا حافراً زبية هلكه**
- **يا معمقاً بهواه مصرعه،**
- **بئس ما اخترت لاحب الانفس اليك**».

فما زال في الوقت متسع، فلا توغل فيصعب الرجوع، وسارع بتوبة نصوح.

ضياء الضباب

يقول ابن الجوزي : «**لا يخدعنك ضياء ضباب، ولا يطعمنك شراب سراب، فمجيء الدنيا على الحقيقة ذهاب، وعمارة الفاني إن فهمت خراب**»

كم من الناس، بل اكثر الناس تخدعهم زينة الدنيا البراقة، وجمال صورها الاخاذة، فيغرقون فيها، وينسون في لحظات النشوة انها الى زوال.

يا صبيان التوبة

يقول ابن الجوزي : «**يا صبيان التوبة ارفقوا بمطايا ابدانكم، فقد الفت الترف**» انه ينادي حديثي التوبة، الا يدفعهم حماس البداية بإتعاب البدن بما يشق عليهم من العبادات، فقد ألفوا الترف سنين طويلة، فلا بد من التدرج والتحايل على النفس حتى يألفون حياة الايمان الجديدة، فتكون بعد ذلك لهم سجية.

يقول ابن الجوزي : «**يا صبيان التوبة : للنفس حظ، وعليها حق، ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[(١)] خذوا ما لها واستوفوا ما**

(١) النساء: ١٢٩

عليها» التعامل مع النفس فن تربوي لا يتقنه الا من وفقه الله، وهم قليل، فالنفس تشتهي امورا، فما دامت في المباح فلا تحرمها، لأنك لو منعتها لن تؤاتيك مع ما عليها من الامور، فخذ واعط، هكذا حتى تلين بين يديك .، ثم ارتق بها درجة درجة حتى تصل بها إلى درجة النفس اللوامة، ثم ارتق بها درجة درجة حتى تصل بها إلى درجة النفس المطمئنة.



وثبة الاسد

يقول الامام ابن الجوزي :

- **«يا هذا، من اجتهد وجدّ وجدْ،**
- **وليس من سهر كمن رقد،**
- **والفضائل تحتاج الى وثبة اسد»**

لا تقل اين انا من فلان وعلان، هذا عالم، وهذا طبيب، وهذا داعية، وهذا عابد، وهذا زاهد، وهذا وهذا، هؤلاء لم يصلوا الى ما وصلوا اليه بالتمني، ولكن بالاجتهاد والتعب، وليس بالدّعة والكسل ؟

من اراد المنازل العليا في الجنة، واراد الفردوس الاعلى، عليه ان يثب وثبة الاسد، فللأسد قلب قوي، وهمة عالية،

واصرار على الوصول، ولا يستطيع ذلك من له قلب ارنب، وثبة الى العلا، الى القمم، الى معالي الامور، ولا يلتفت الى الاسفل، فعندما طلب ربيعة الاسلمي من النبي مرافقته الجنة رد عليه «**فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ**»(١).

اما تسمع الصواعق حولك

ينادي ابن الجوزي الذين يسمعون المواعظ في المساجد وفِي كل مكان ثم لا يتأثرون «**وقع الحريق في زوايا المجلس، رشوا عليه من مزاد الدمع، يا كثيف الطبع، أ فميت انت ؟ وهذه الصواعق حولك**» تقسو القلوب ويحيط بها الران، فما تعود تتأثر لما ترى وتسمع ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾(٢).

اذا كانت الظاهرة التي تحدث عنها ابن الجوزي في زمانه (عدم الانتفاع بالمواعظ) قد آلمته، فهي في زماننا مضاعفة، فكم تلقى من مواعظ في المساجد فلا يجلس لها الا النفر القليل، وكم من المواعظ تنقل في وسائل الاعلام فلا يتأثر بها

(١) رواه مسلم ٤٨٩
(٢) محمد: ٢٤

الا القليل من القليل، وما ذلك الا بسبب غلبة الماديات والملهيات على القلوب.

بلبل الفطنة

يقول ابن الجوزي : «**واعجباً لبلبل الفطنة، كيف اغتر بفخ الفتنة ؟**»

يقول الشريف الرضي :

يا قَلبُ كَيفَ عَلِقتَ في أَشراكِهِم ... وَلَقَد عَهِدتُكَ تُفلِتُ الأَشراكا

لا تَشكُوَنَّ إِلَيَّ وَجداً بَعدَها ... هَذا الَّذي جَرَّت عَلَيَّ يَداكا

فكم من العقلاء الفطنين يسقطون في افخاخ الفتن، ويكتشفون سقوطهم متأخرا

ضالة المنى

يقول ابن الجوزي : «**الى متى في طلبها ؟ الى كم الاغترار بها ؟ تدور البلاد منشداً ضالة المنى، وتلك ضالة لا توجد ابدا**» وحقا هناك نوع من الناس من يحرق نفسه من اجل زينة الدنيا، فكلما حصل على زينة منها طلب اكبر منها، وما زال في سباق ويلهث من زينة الى اخرى يبحث عن ضالة لا وجود لها.

❹ الاماني أربعة :

① أمنية دنيوية يريد بها الوصول الى امنية دنيوية اكبر منها.

② امنية دنيوية يريد بها دنيا واخرة.

③ امنية دنيوية يريد بها الوصول الى امنية أخروية.

④ امنية أخروية يريد بها الاخرة فقط.

فالأولى هي الضالة التي لن تدرك.

والرابعة هي أشرف الاماني.

فئة كبيرة من الناس تراها ليل نهار تلهث من اجل امنية، يبيع دينه ومبادئه وقيمه من اجل الوصول الى تلك الامنية، حتى اذا وصل اليها طلب اكبر منها، وهكذا هو حتى يلفظ انفاسه الاخيرة، تلك الضالة التي لن يدركها صاحبها، وآخرون اتخذوا الدنيا سلما يوصلهم لأغلى الامنيات في الاخرة، ينتقلون من سعادة الى اخرى حتى يودعوا هذه الحياة.



انما الدنيا سراب

يقول ابن الجوزي :

- «شحم الدنيا هزال،
- وشراب الآمال سراب وآل،

- ولذات الدنيا منام وخيال،
- وحربها قتل بلا قتال»

فالشحم عند العرب دلالة على العافية والغنى، ولكن حقيقته في الدنيا اذا زادت فهي هزال لآخرة صاحبها، وكذلك امالها ولذاتها سراب لا حقيقة له، لأنه زائل ومتبدل.

افتتان معظم الخلق في الدنيا، سببه يرجع الى عدم الاتزان بين الدنيا والاخرة، فلا ينبغي تغليب احدهما على الاخر، بل نتفاعل مع الدنيا ونستخدمها معبراً للأخرة يقول تعالى ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[1]ومن الاعجاز ان تأتي لفظة الدنيا في القران مرة متساوية مع لفظة الآخرة.

العزائم طريق المجد

يذكر ابن الجوزي قصيدة للمهيار الديلمي يقول فيها :

خاطرْ فإمّا عيشةٌ حرَّةٌ   يرغدها العزُّ، وإمّا الحمامْ

زاحمْ على باب العلا ضاغطا   لا بدّ أن تدخلَ بين الزحامْ

فالرتب العالية والأهداف النفيسة لا تحقق الا بالعزيمة

---

(١) القصص: ٧٧

والاصرار، بعد التوكل على الله.

ويؤكد معنى (نيل المعالي بالعزائم) الامام ابن الجوزي فيقول:

- **«يا مغروراً بخضراء الدمن،**
- **يا جامعاً مانعاً قل لي لمن؟**
- **كي ينال الفضائل مستريح البدن؟**
- **سلع المعالي غاليات الثمن»**

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: **«ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ»**(١)

ادركوا هدف الوجود

يقول ابن الجوزي: **«لله در اقوام تأملوا الوجود، ففهموا المقصود، فالناس في رقادهم، وهم في جمع زادهم، والخلائق في غرورهم، وعيونهم الى قبورهم»** هؤلاء ادركوا ان هدف الخلق هو **«العبادة»** فكرسوا انفسهم لها، وادركوا ان الدنيا هي الفرصة الوحيدة فاستغلوا اوقاتهم قبل الموت.

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني (صحيح الترمذي ٢٤٥٠).

في الدنيا فئة تجهل الهدف من الخلق، وخاصة غير المسلمين، يمثلها الشاعر ايليا ابو ماضي عندما قال :

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَينَ وَلَكِنّي أَتَيتُ
وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ
وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ
كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَريقي لَستُ أَدري

هناك مسلمون كثر يعلمون هدف الخلق ولكنهم لا يدركون، فالفهم معرفة المعاني، اما الادراك فهو العمل بعد الفهم، والمدركون قله، وصفهم ابن الجوزي «**الناس في رقادهم وهم في جمع زادهم، والخلائق في غرورهم ؟ وعيونهم الى قبورهم**» اللهم اجعلنا منهم.

الواعظ الذاتي

يقول ابن الجوزي : «**هيهات، من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ**»

ويؤكد هذا المعنى ابو نواس عندما قال :

لا ترجعُ الأنفسُ عن غيها ما لم يكن منها لها زاجرُ.

فمهما كثر الواعظين واجادوا لن يتغير المرء مالم يتخذ هو القرار بالتغيير، وهو الذي يقرر الانتفاع او عدمه، هذا هو الواعظ الذاتي.

حارس اليقظة

يقول ابن الجوزي : «**الجاهل ينام على فراش الامن، فتكثر احلام امانيه، والعالم يضطجع على مهاد الخوف، وحارس اليقظة يوقظه**» فالجاهل يأمن عقوبة الله له في الدنيا والاخرة باقترافه المخالفات، فينام ملئ عينيه، مع ازدياد امنياته، والعالم يتقلب بين الخوف والرجاء، فلا يغلب الرجاء فيغفل، ولا الخوف فييأس، وحارس اليقظة يوقظه اذا ما غفل.

متى ينتهي الفساد ؟

يقول ابن الجوزي :

- **«متى ينتهي الفساد ؟**
- **متى يرعوي الفؤاد ؟**
- **يا مسافراً بلا زاد،**
- **لا راحلة ولا جواد،**
- **يا زارعاً قد آن الحصاد»**

هكذا حال الكثير من الناس، يعيش في هذه الدنيا وكانه خالد لن يموت، وما كأن الدنيا دار عبور، فيستمر في غفلته حتى يفجؤه الموت.

الثمار الفجّة

يقول ابن الجوزي : **«من زرع بذر العمل في ارجاء الرجاء، ولم تقع عليه شمس الحذر، جاءت ثماره فجّة»** فالرجاء والخوف جناحان يطير بهما المؤمن الى الجنة، فاذا غلب احدهما الاخر سقط، فالحذر والخوف من عدم القبول يرجع المؤمن الى الاتزان اذا غلب الرجاء والعجب.

ادركهم قبل الشقاء

يقول ابن الجوزي مخاطبا الكسالى والمُسَوّفين :

- **«سار القوم ورجعت،**
- **ووصلوا وانقطعت،**
- **وذهبوا وبقيت،**
- **فان لم تلحقهم شقيت»** و تأكد انه لا رجعة الى الدنيا اذا غادرت، ولا واسطة اذا رسبت.

تذكر نصيحة ذلك الخبير في دروب الايمان **«فاذا لم تلحقهم شقيت»** فبدل ان تستهزئ بهم، وتشتمهم، وتحرض الظالمين عليهم، الحق بهم وامض حيث يمضون، وزاول ما يزاولون، فان الزمن يمضي مسرعا، وانت تبقى في عنادك مبطئ ً فإياك ان يفجؤك الموت وانت على حالك، فتكون قد شقيت.

من تواضع لله رفعه

يقول ابن الجوزي : **«لما تقدم اختيار الطين المنهبط، صعد على النار المرتفعة، وكانت الغلبة لادم في حرب ابليس»** وكذلك الماء لما نزل الى باطن الارض، رفعه الله بالأغصان والثمار والأوراق، هذه هي منزلة المتواضع لابد ان يرفعه الله، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : **«وما تواضعَ أحدٌ للّهِ إلاَّ رفعَهُ اللَّهُ»** [(١)]

اياك ان تغرق سفينتك

يقول ابن الجوزي: **«كم من مشارف بسفينة عمله على**

---

(١) جزء من حديث بدايته **«ما نقَصت صَدقةٌ مِن مالٍ»** رواه الترمذي، وصححه الألباني (صحيح الترمذي ٢٠٢٩)

شاطئ النجاة، ضربها خرق الخذلان فغرقت، وما بقى للسلامة الا باع او ذراع» كاد ان يصل الى بر الامان بإيمانه وثباته والتزامه، واذا به يسقط امام فتنة تهدم ذلك الثبات، ثم يتعرض للغرق التام.

ماهي منزلتك؟

يقول ابن الجوزي : **«من اراد من العمال ان يعرف قدره عند السلطان، فلينظر ماذا يوليه»** هذا هو المقياس، فمن اراد ان يعرف منزلته عند الله فلينظر ما هو مشغول به معظم الوقت؟ هل في امور الدنيا ام امور الآخرة».

قطعا لا يعني ابن الجوزي الحلال والحرام، بل يعني المنزلة عند الله، فمنزلتك تتحدد بما انت مشغول فيه، فاسأل نفسك، هل انت مشغول غالب وقتك بما هو زائل، ام بما هو باق؟ هل انت مشغول بالطاعات والقربات ام بالمعاصي والشبهات؟ هل انت مشغول بالدعوة الى الله والدفاع عن دينه ام مشغول بالمباحات؟ اختيارك يحدد منزلتك.

قماط الهوى

يقول ابن الجوزي :**«يا طفلاً في حجر العادة، محصوراً**

بقماط الهوى، مالك ومزاحمة الرجال؟ تمسكت بالدنيا تمسك المرضع بالظئر، والقوم ما اعاروها الطرف» انه يخاطب الذي غلب عليه هواه فاصبح كالطفل الرضيع من ثدي الباطل والعادات السيئة بينما سبقه الآخرون.

علف الراحلة

يقول ابن الجوزي: **«يا هذا جسدك كالناقه، يحمل راكب القلب، فلا تجعل القلب مستَخدَماً في علف الراحلة»** فالقلب موضع الايمان والحب والاختيار، والعاقل هو من يدرك ذلك، فيستخدم القلب فيما خلق من اجله، باختيار طريق الايمان والارتقاء بالتقرب الى الله، والا يسخره تبعا لهواه، وما يغضب خالقه.

مزابل الذل

يقول ابن الجوزي: **«واعجبا لِنَفاسَة نفس رُفِعَت بسجود الملَك لها، كيف نزلت بالخساسة؟ حتى زاحمت كلاب الشّرَه على مزابل الذل»** يا له من تشبيه للنفس التي كرمها الله بهذا التكريم، كيف تختار بإرادتها ان تهبط الى هذا الدرك بالمعاصي حتى تكون تنافس الكلاب على مزابل الدنيا.

من اختار بإرادته طريق المعاصي، وترك بإرادته طريق الايمان، لابد ان يذله الله، لان العزة لا توجد الا في طريق الايمان، والاستقامة على الصراط المستقيم، قال تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾(١)، وقال ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾(٢).

كم رأينا في حياتنا من مظاهر الذل قد كتبها الله على الذين اختاروا طريق الباطل، وان كانوا في ارفع المراكز الدنيوية، يأبى الله الا ان يذلهم، ويري الناس ذلهم على يد اسفل الناس واحقرهم، خاصة عندما يجاهر بحربه لله واوليائه، ومازالت صور فراعنة هذا الزمان ماثلة للجميع، فهل من معتبر ؟؟.

ادغال الغفلات

يقول ابن الجوزي: «**ماء حياتك في ساقية عمرك، قد اغدودق، فهو يسيل ضائعاً الى مهاوي الهوى، ويتسرب في اسراب البطالة، فقد امتلأت به خرابات الجهل، ومزابل التفريط وشربته ادغال الغفلات، ويحك اردده الى مزارع التقوى لعله**

(١) الحج: ١٨

(٢) يونس: ٢٧

يحدق نور حديقة» اغدودق اي المطر كثر قطره، فكم من الناس يتفنن في تضييع وقته وأيامه، وسنينة في الحرام والمعاصي او في الغفلة واللعب ولا يدري متي ينتهي زمنه فلا يعود.

كفاك نذير الشيب

يستشهد ابن الجوزي بأبيات لابي العتاهية :

«بَليتَ وَما تَبلى ثِيابُ صِباكا　　كَفاكَ مِنَ اللَهوِ المُضِرِّ كَفاكا

أَلَم تَرَ أَنَّ الشَيبَ قَد قامَ ناعِياً　　مَقامَ الشَبابِ الغَضِّ ثُمَّ نَعاكا»

الكثير يغتر بقوة الشباب واستبعاد الموت، فيوغل بالفساد، فتاتي بعض شعرات الشيب منذرة ولكنه لا ينتبه، تقول له ؛ انتبه قبل مفاجأة الرحيل.

يا ساكن الدار

يقول ابن الجوزي : **«كم سكن قبلك في هذه الدار ؟ فحام الموت حول حماهم ودار، ثم ناهضهم سريعاً وثار، كانه ولي يطلب الثأر، وقد خوفك بأخذ الصديق وسلب الجار»** فانت لست الاول، فقد سبقك الى الدنيا الملايين، من الحكام

والتجار والعلماء والعمال والفقراء، اما سالت نفسك اين هم الان ؟؟



الشيب أذان

يقول ابن الجوزي :

- «الشيب أذان،
- والموت اقامة،
- ولستَ على طهارة»

ما أقلها من كلمات، واعمقها من معان، فكم من الانذارات الربانية يريها الرب لعباده، ليستنهض هممهم، ويستدركوا ما فات، ولكن الغفلة والتسويف هي الغالبة على اكثرهم.

العمر صلوات

يقول ابن الجوزي : **«العمر صلوات، والشيب تسليم»** فالصلاة كأنها رحلة الدنيا، والتسليم خاتمتها، فان من رحمة الله ان يرينا قصة البداية والنهاية في الكثير من صور الحياة، ليرجعنا اليه، ولينتشلنا من جب الغفلات، ولكن اكثر الناس لا يعلمون.



بوق الرحيل

يقول ابن الجوزي :«**يامن قد خيم حب الهوى في صحراء قلبه، اقلع الاطناب، فقد ضرب بوق الرحيل**».

الغروب رحيل، والليل رحيل، والجزر رحيل، والجفاف رحيل، وذبول الزرع رحيل، وطيران الطير رحيل، وصور كثيرة تذكرنا ببوق الرحيل، ولكن البعض يصر على اغماض عين قلبه ليبقى في احلام الغفلة.

فجر الاجر

يقول الامام ابن الجوزي : «**تلمح فجر الاجر، يهن ظلام التكليف**»

فالتكاليف في ظاهرها نصب وجوع وسهر، ونقص للأموال، والم من المصائب، وصبر على الاذى، ولكن المؤمن عندما يتجاوز ظاهر التكليف المظلم، ويتذكر جمال فجر الاجر العظيم، تهون عليه آلام المصائب، وظلمة التكليف.

سبع الغضب

يقول ابن الجوزي : «**أوثِق سبع غضبك بسلسلة حلمك، فانه ان افلت اتلف**»

فالغضب منبع كل شر، لذلك كانت وصية النبي ﷺ لذلك الصحابي «**لا تغضب**»[(١)] كررها ثلاثاً، فالغضب يدمر كل ما بنيت في لحظات، ويحطم كل علاقة تعبت عليها سنين في لحظات، ويعرضك للكثير من الامراض، ولا حل الا بالحلم والاعراض عن الجاهلين.

مصباح الحلم

بمقدار تواجد الحلم في المرء، يكون التحكم بانفعالات الغضب، فكلما زاد الغضب تبخر الحلم، لذلك قال ابن الجوزي : «**متى قمت بحدة الغضب، انطفئ مصباح الحلم**» لذلك فان من انفع ما يتدرب ويتخلق عليه الانسان هو خلق الحلم، فلا يوصف انسان بالعاقل حتى يكون له نصيب من الحلم.

كهول التفريط

يقول ابن الجوزي :

- «**يا شباب الجهل،**

---

(١) رواه الإمام المنذري وصححه الألباني (صحيح الترغيب ٢٧٤٨) وبدايته «**أَنَّ رجُلًا قال: يا رَسولَ اللهِ قُلْ لي قَوْلاً**».

- **يا كهول التفريط،**
- **يا شيوخ الغفلة،**
- **اجلسوا معنا ساعة**
- **في مأتم الأسف»**

الجهل والتفريط والغفلة، فيروسات قاتلة، اذ لم يتداركها اصحابها بلقاح التوبة واليقظة ليوقف جنون انتشارها في القلب، فإنها لاشك قاتلة.

سحائب الاجفان

يقول ابن الجوزي: **«يا سحائب الاجفان امطري على رباع القلوب، يا ضيف الندم على الاسراف اسكن شغف القلوب»** فكثرة الانشغال بالدنيا تقسي القلوب فتجف العيون، وتبخل عن دموع تزيل قساوة تلك القلوب، والندم عندما يكون مؤقتا، لا ينفع في ازالة تلك القسوة، مالم يستقر في القلوب.

يا لها من موعظة

يقول ابن الجوزي: **«قال ابن عبد العزيز لابي حازم: عظني، فقال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة، فجِدّ فيه الان، وما تكره ان**

يكون فيك فدعه الان» لو تفكر الانسان في هذه اللحظة جدياً، لما اقدم على معصية.

تزود للسفر

يقول ابن الجوزي : **«يامن تُحصَى عليه اللفظة والنظرة، مزق بيد الجد اثواب الفترة، وتأهب فما تدري السير عشاءً وبكرة، واعتبر بالقرباء، فالعِبرة تبعث العَبرة، وتزود لسفرة ما مثلها سفرة»** التزود والاستعداد لما بعد الموت من صفات العقلاء، والتسويف ونسيان لحظة النهاية وتضييع الاوقات من صفات اصحاب الجهالة.

سر الوجود (العبادة)

يقول ابن الجوزي : **«من فهم معنى الوجود، علم عزة النجاة»** فالعبادة هي الهدف الاسمى من الخلق، فمن كرس حياته لهذا الهدف نجا، ومن تلهى بزينة الدنيا خسر وندم، يوم لا ينفع الندم

سكران الهوى

يقول ابن الجوزي : **«سكران الهوى بعيد الافاقة، فلو تذكر**

اقامة الحد طار السكر» الهوى ما ترغبه النفس وتشتهيه، فاذا ما زاد من جرعته اياه سكر، واذا ما سكر عبث به الشيطان حيث ما اراد، ولكنه لو تذكر الموت وما يعقب الموت من الجزاء لأفاق من سكرته.



مرق الهوى

يقول ابن الجوزي : **«من تَحسّى مرق الهوى، احترقت شفتاه»** يمثل ابن الجوزي الهوى بالمرق المملوء بالبهارات الملونة الجميلة، ذات الروائح العطرة، والطعم الأخّاذ، فمن اغراه هذا المرق ورشف منه رشفة احترق قلبه، فلا مجال للتجربة واللعب مع الهوى.

يا ايام الشيب

يقول ابن الجوزي: **«يا ايام الشيب، انما انت داعٍ ووداع، فهل لماضٍ من الزمان ارتجاع»** انها تدعو العقلاء الى توبة نصوح، والى المزيد من الاستعداد، كما وانها علامات المغادرة، فإياك والوقوع بما ليس لك فيه مجال للنجاة.

لصوص الهوى

اطلق عليه ابن الجوزي : **«لصوص الهوى»** فالهوى لص

يسرق من نيتك ويسرق من عملك ومن قولك فانتبه، فمن الناس من يسرق الهوى منهم كل أعمالهم، وهم اهل النفاق الذين لم يريدوا بعملهم وجه الله، ومن الناس من يسرق منهم الهوى بعض أعمالهم عن طريق حب الثناء وحب الشهرة او الشهوة، وآخرين يسرق معظم أعمالهم، فهل ننتبه لهذا اللص المحترف ؟؟.

انعدام الاحساس

يخاطب الامام ابن الجوزي الوالغين بمتع الدنيا، وأنواع المعاصي، ولا يشعرون بغضب الله «**آه للابس شعار الطرد وما يشعر به، وا اسفا لمضروب ما يحس صوت السوط، عجباً لمن اصيب بعقله، وعقله معه، يا معثر الأقدام مع إشراق الشمس، يا فارغ البيت من القوت في ايام الحصاد**».

ركز الامام ابن الجوزي على «**انعدام الاحساس**» كعامل رئيس في الولوغ في المعاصي، فالإحساس من اهم صفات الحي، لان الميت يفقد الاحساس، فالذي تتوالى عليه إنذارات الرب من انواع البلاء والعقوبات ولا يشعر بالتحذير الإلهي فهو الى الموت اقرب منه للحياة.

لقد وردت كلمة (لا يشعرون) ومرادفاتها في القران ما يقارب ٢٥ مرة، وذلك للتأكيد على قضية الاحساس، والتنبه، والحذر من انواع البلاء الذي يرسله الرب لابن ادم عندما يراه حاد عن الهدف الذي خلق من اجله، من اجل العودة للصراط المستقيم، ولكن اكثر الناس فقدوا الاحساس لهذه التحذيرات الربانية.

يتأسف ابن الجوزي على من فقد الاحساس فيقول: «**وا اسفا لمضروب ما يحس صوت السوط**» وتتوالى عليه لسعات سوط البلاء، ولا يحس بتحذير الرب، يقول الزاهد الفضيل بن عياض: «**إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي**» هؤلاء اصحاب الإحساس.

نتائج الثبات

يقول ابن الجوزي: «**من غرس في نفسه شرف الهمة فثبت،**
نبت - اي ابتعدت - عن الأقذار
ومن استقر ركن عزيمته وثبت،
وثبت عن الأقذار»

ويعني بالأقذار المعاصي والشهوات الموصلة لها، فمن

ثبت مستعينا بالله وبهمته العالية وعزيمته، فانه يوفق للابتعاد عن الأقذار.



حرب الشهوات

يقول ابن الجوزي : **«من ثبت قلبه في حرب الشهوات، لم يتزلزل قدمه»**

نعم انها حرب حقيقية يقودها ابليس وشياطين الانس والجن، وأنواع مختلفة من الشهوات يسوقونها بين يدي المستقيمين على الصراط، فمن ثبت قلبه ولم يلين امام هذه الشهوات ثبت الله قدمه على صراط الأرض وصراط الآخرة.

المهادنة دليل الذل

يقول ابن الجوزي : **«ما دمت في حرب العدو فلا تبال بالجراح، فانه قد يصاب الشجاع، انما المهادنة دليل الذل»**
فالمحارب لابد ان يتعرض للجراح، ولكن الشجعان الأبطال لا يرتعدون عند اول جرح، بل يصمدون ويصبرون، ولكنهم ابداً لا يتنازلون او يهادنون، وهم يعلمون انهم على الحق، فما من بلاء إلا ويعقبه جروح، لا تلبث أن تتحول إلى عافيه

عندما يستعين عليها بالصبر والرضا.

هذه الجراح التي تحدث عنها ابن الجوزي اثناء الحرب بين الحق والباطل، قد تكون على صورة سجن او إهانة او نفي او اتهام بغير حق، او مصادرة الأموال او غيرها من انواع الجراح، ولكن كل ذلك لا تدفعه ان يتنازل عن الحق ولا يهادن الباطل.

في معركة المؤمن مع الباطل لا يمكن لأصحاب الباطل ان يهزموه الا اذا انهزم من الداخل، وألغى إيمانه الذي يدله عليه عقله بانك مع القوي المتين، امام مخلوق ليس له حول ولا قوة او امام شهوة زائلة، لذلك يقول ابن الجوزي : «**اول ما ينهزم من المهزوم عقله**».

زم الجوارح

يقول ابن الجوزي : «**ويحك،**

- **من زم [1]جوارحه**

- **ولازم الباب، كان على رجاء الوصول**» فالجوارح هي أدوات اقتراف المعاصي، فمن كفها عن ذلك، وحاول بكل ما يستطيع من التقرب لمولاه - لازم الباب - فكلما اقترب اكثر

(١) زمٌّ أي رفعه و أبعده وشده بعيداً.

كان دخوله الى مولاه اقرب.

استصحبوا الزاد

يقول ابن الجوزي: «**الشباب رياض، والشيب قاع قفر، فاستصحبوا الزاد قبل دخول الفلاة**» والعاقل هو من يستغل فترة شبابه وقوته بالإكثار من الاعمال الصالحة، لتكون له زاد قبل ان يأتيه المشيب فلا تعينه قوته على ما كان عليه في شبابه.

الظل الزائل

يقول ابن الجوزي:

«أَقُول وَالنَّفس تَدعُونِي لباطلها   أَيْن الْمُلُوك مُلُوك النَّاس والسوق

أَيْـن الَّذيـن إِلَى لـذاتـهـا ركـنـوا   قد كَانَ فِيهَا لَهُم عَيْش ومرتفق

أمست مساكنهم قفرا معطلة   كَأَنَّهُمْ لم يَكُونُوا قبلهَا خلقُوا

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا   إِنَّ اغْتِرَارًا بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمْقُ»

صور الامام ابن الجوزي الدنيا في تلك الابيات كظل زائل، ولا يستطيع احد ان يتصورها ويعيش حقيقة زوالها، وأنها لا تعدو انها ظل، الا من رأى خلاء قصور كانت الدنيا تهز من عروشها، ورأى القبور فأيقن ان دوره قادم لا محالة،

وتذكر لذات كان يرفل بها فتلاشت.

اخراج مسمار الهوى

يقول ابن الجوزي عن منهجه في علاج العصاة : «**ما زلت أعالج مسمار الهوى في قلب العاصي، أميل به تارة الى جانب التخويف، وتارة الى جانب التشويق، فربما ضعف الماسك بإزعاجي له، اتسع عليه المجال فجذبته**».

ينقل لنا ابن الجوزي خبرته في إنقاذ القلوب الغارقة في بحار المعاصي، ويعلم الدعاة فن التنويع بالمواعظ والتوجيهات، بالترغيب والترهيب، وبالتخويف والتشويق، وبالتدريج والصبر والتحمل تتهيئ نفس العاصي وتنفك الأقفال التي على قلبه فينساب الحق الى قلبه فيهتدي بإذن الله.

الهوى والهوان

يقول ابن الجوزي : «**مذ خُلق الهوى خُلق الهوان، لا يتصرف الهوى الا بربع قلب فارغ من العلم**» وصدق الله حين قال ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [١] يأبى الله الا تعريض من

(١) الحج: ١٨

أطاع هواه في المعاصي الى الهوان والمذلة، مهما حاول إلباس نفسه من لباس العزة والكرامة.

الهوى الذي يغلب العقل عند فئة من الناس يحددها الامام ابن الجوزي بالفارغة من العلم، فالهوى لا يمكن ان يغلب العقل الا عند غياب العلم، فاذا غاب العلم حل مكانه الجهل، والجهل يستسلم للهوى وان كان حجمه قليلاً في القلب (ربع قلب).

إقبال الآخرة

يقول ابن الجوزي : **«اذا أعرضت عن الدنيا، أقبلت إليك الاخرة، من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه»** خذ من الدنيا ما يعينك على تحقيق الهدف من الخلق، وكل زيادة تأخذها فإنها تشغلك عن الاخرة بمقدارها، ومن استزاد زاد انشغاله، ومن اعرض لانشغاله بأمر الاخرة أقبلت عليه الآخرة.

ماذا كان يعني ابن الجوزي بإقبال الاخرة لمن اعرض عن الدنيا ؟؟

- **اقبال الآخرة يعني :**

١- التوفيق للطاعات.

٢- تحبيب الطاعات للنفس.

٣- الهمة العالية بأداء الطاعات.

٤- تكريه المعاصي للنفس.

٥- ابعاد كل الشواغل عنه.

٦- إيجاد من يعينه على الطاعات.

لم يكن ابن الجوزي يعني بالإعراض عن الدنيا (العزلة) عن اداء الواجبات، كالزواج وصلة الأرحام والعمل الذي يكسب منه رزقه، والاختلاط بالناس من اجل القيام بواجب الدعوة، ولا يعني ايضاً ترك العمل بالتجارة والكسب الحلال.

قصد الامام ابن الجوزي بـ «الإعراض عن الدنيا» :

١- ان نتذكر الهدف من الخلق.

٢- الا تشغلنا الدنيا عن هذا الهدف.

٣- ان لا تكون الدنيا هي الهدف.

٤- بل تكون وسيلة للوصول للهدف.

٥- ان تكون الدنيا بأيدينا لا في قلوبنا.

٦- الا نبيع آخرتنا في سبيلها.



أطفال التوبة

يقول ابن الجوزي : **«يا اطفال التوبة، ما انكر حنينكم الى**

الرضاع، ولكن ذوقوا مطاعم الرجال، وقد نسيتم شرب اللبن» هناك فئة من حديثي التوبة، والذين لم تتمكن التوبة من التجذر في قلوبهم، يشتاقون الى معاصيهم بين الفينة والأخرى، فهم على خطر عظيم.

اطلق عليهم ابن الجوزي (اطفال التوبة) لانهم مازالوا لم يذوقوا حقيقة الايمان وحلاوته، فما زالت قلوبهم فيها شيء من التعلق بالماضي، ولكنهم لو جاهدوا انفسهم بنسيان الماضي والاقتداء بمن سبقهم بالتوبة، وبالقدوات الكبار (وذاقوا مطاعم الرجال) لنسوا حليب الاطفال، و لتعلقت قلوبهم بطريق الهداية.

لماذا خُلقت الدنيا ؟

يقول الامام ابن الجوزي : «**يا هذا، انما خُلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها، ولتعبرها لا لتعمرها، فاقتل هواك المائل لها، واقبل نصحي لا تُعوّل عليها»** من يدرك حقيقة الدنيا يزول عنه القلق والهم، فالدنيا خلقت كمعبر للآخرة ودار اختبار لا دار قرار والذكي هو من يفهمها وينجح فيها.

عقم القلوب

يصور الامام ابن الجوزي بعض القلوب كأنها امرأة عقيم فيقول: «**اذا كانت القلوب عقماً عن الفكر، واتفقت عنّة الفهم، فلا وجه لنسلِ الفضائل**» القلب هو محل الادراك والفهم كما ذكر القران ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[(١)] والعنة عجز جنسي يصيب الرجال، فاذا ما اصاب الفهم تلك العنة فمن اين تولد الفضائل ؟.

القران يخبرنا بان القلوب تعقل وتفقه وتشعر بالرغم من تخلف العلم عن ذلك، الا في السنوات الاخيرة (قام بها الباحثان Rollin Mc Craty و Mike Atkinson وتم عرضه عام ١٩٩٩، [(٢)] وقد جاء بنتيجة هذا البحث أن هنالك علاقة بين القلب وعملية الإدراك) فاذا توقف فهم العقل وعبث به الهوى فكيف تولد الفضائل؟.

---

(١) الأعراف: ١٧٩

(٢) منها مقال متوفر على الشبكة العنكبوتية:

The effects of emotions on short-term power spectrum analysis of heart rate variability .

المشترون للراحة الفانية

يقول ابن الجوزي :

- «**يا غافلاً والموت يسعى في طلبه،**
- **يا مشغولاً بلهوه مفتوناً بلعبه،**
- **يا مشترياً راحة تفنى لطول تعبه،**
- **أما عللت مريضاً ؟ ورأيت كرب كربه ؟**»

معظم الناس تبهرهم اللذة العاجلة المحسوسة، عن لذة الجنة الآجلة، فيقضون معظم وقتهم وربما كله من اجل هذه اللذة الفانية.

حديث الهوى

يقول ابن الجوزي : «**من اصغى الى حديث الهوى، اورثه الصمم عن النصائح**» يتطرق ابن الجوزي كثيرا الى (الهوى) لأنه احد الثلاثة الذين ان اطاعهم الانسان ضل وخسر (الهوى والنفس والشيطان) والهوى هو ما تشتهيه النفس، خاصة في دائرة الحرام، فهل للهوى حديث كحديث ابليس ؟؟.

كما ذكر الامام ابن الجوزي «**من اصغى الى حديث الهوى**

اورثه الصمم عن النصائح» فالهوى له حديث وترغيب وترهيب واقناع، لجرك للمحذور والمحرم، فمن استسلم لحديث الهوى، لم يعبأ بنصيحة المحبين المشفقين عليه، بل يصم أذناه عنهم.

لو استمع الناس لمواعظ الواعظين لما بقي عاصٍ في هذه الارض، ولكن الميل والتصديق لحديث الهوى يصم سمعهم، فقد قالوا لأنبيائهم ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾[١] واعترفوا يوم القيامة بسبب وجودهم في الجحيم ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾[٢] ذلك لانهم اصموا اذانهم عن سماع النصح لتأثير حديث الهوى عليهم.

أطيار الفُهُوم

يقول ابن الجوزي : **«يا اطيار الفهوم، احذري مراعي الهموم، فثَمّ عُقبان التلف، ومن نجا منها بعد المحاربة، افلت مكسور الجناح»** انه يتخيل الفهم كأنه طير، ويحذره ان يجول في افكار الهموم، وكأنها مراعي يرعى بها، يغريه الكَلأ،

(١) فصلت: ٥
(٢) الملك: ١٠

ليكون عرضة لعقبان شياطين الانس والجن.

لقد حذر ابن الجوزي وهو احد ابرز اطباء القلوب من الانشغال بالتفكير بالهموم، فبالإضافة الى تضييع الكثير من الاوقات، فان ذلك يزيده ألما، ويضعف همته بالانطلاق في رحاب الايمان، وكل ذلك من اهداف ابليس، لذلك اطلق عليهم ابن الجوزي (عقبان التلف) فهم يتلفون وقتك الثمين.

يا عاشق الدنيا، انتبه

ينادي ابن الجوزي عاشق الدنيا

«أما شيعت ملكاً ؟

فرجعت الى سَلَبه،

أما تخلى عن ماله ؟ وتخلى بمكتسبه ؟

أنفعه غلو عزه ؟ أو علو نسبه ؟

لقد ناجاك قبره، وناداك امره، فانتبه» يا للقبر من واعظ صامت.

يامن تحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله، تذكر ان ما عند الله خير وابقى، ولو تذكرت ما عند الله من النعم

لتصاغرت الدنيا كلها امام عينك.

فقد قال العاشقون للدنيا عندما رأوْا ما عند قارون ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾[(١)] فذكرهم اصحاب الحق ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾[(٢)] فنعم الدنيا زائلة ونعم الله باقية.

عشاق الدنيا والحاسدون لمن انعم الله عليهم من زهرة الحياة الدنيا ينسون حقيقة ايمانية، وهي ان الله عادل وحكيم في توزيع الرزق، وهذا ما ادركه عشاق الدنيا متأخراً في عهد قارون، فعندما خسف الله به وبداره الارض، قالوا ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾[(٣)]



وثبة الأكياس

يقول ابن الجوزي : «**قيل لراهب ما الذي حبب إليك الخلوة وطرد عنك الفترة ؟ قال : وثبة الأكياس من فخ الدنيا**» والكيس لغة هو(ظَرِيفٌ، فَطِنٌ، حَسَنُ الفَهْمِ) هذا الانسان الذكي الفطن

(١) القصص : ٧٩
(٢) القصص : ٨٠
(٣) القصص : ٨٢

يرى افخاخاً نصبت بين زينة الدنيا، بينما يراها الآخرون زينة، لذلك فهو عندما يصل قريبا منها يثب خوفًا من الوقوع فيها.

وثوب الأكياس على أفخاخ الدنيا منهج حياة، يتخذه الاذكياء في هذه الحياة، فكم من فخ ينصبه شياطين الانس والجن ليوقعوا فيه المستقيمين على الصراط، من مناصب ومال حرام ونساء وشهرة وسلطان وقصور وأرصدة وسيارات وما شابهها، ولكنهم يفطنون لتلك الإفخاخ فيثبون وثبة الأكياس.

نعم وثبة الاكياس بمثابة القفز على الحفر التي حفرها ابليس حول الصراط واسماها النبي ﷺ بسبل الشيطان، حيث روى لنا الصحابي ابن مسعود قصة السبل فقال: «**خط لنا رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِه ثم قال: هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ**»[(١)].

عندما خط النبي ﷺ ذلك الخط المستقيم وتلك الخطوط على جانبي الخط المستقيم، بين لهم ان النجاة بالتزام الخط

(١) رواه الإمام أحمد (٤١٤٢) وصححه أحمد شاكر (عمدة التفسير٨٣٩/ ١)

المستقيم، وذلك بالقفز على تلك السبل التي على راس كل واحد منها شيطان، شيطان يزين له المنصب وآخر يزين له الانتصار للنفس وآخر يزين له الشهوات وآخر يزين له المال والقصور والدواب وآخر وآخر وآخر.

كثيرون كانوا على طريق الحق، مستقيمين زمناً طويلا ، ولم يستجيبوا لتزيين الشياطين الذي يقفون على السبل التي حول الصراط، واستمروا بالوثب، الا انهم لم يصبروا حتى نهاية المطاف، وعجزوا عن الاستمرار بالوثب، فافترستهم الشياطين، وأصبحوا جزءً من الماضي الجميل، واستمرت طائفة من أمة النبي ﷺ تثب وثوب الاكياس.

يا مقعد العزيمة

يقول ابن الجوزي :

- «**يا زَمِن[1] الهمة،**
- **يا مقعد العزيمة،**
- **يا عليل الفهم،**
- **يا بليد الذهن،**

(١) زَمِن بفتح الزاي وكسر الميم تعني المرض.

- سار المجدون وتركوك،
- ونجا المخففون وخلفوك».

ينادي ابن الجوزي الكسالى عن السعي للآخرة، وينعتهم بـ (المقعد والعليل والبليد) فلو لم تكن هذه الصفات متغلغلة فيهم لما رأوْا سبق المجدين بالسعي نحو الاخرة عنهم بمراحل وهم يضحكون، بل ويستهزئون ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾[1] انه الطمس على القلوب.



رقدة اللهو

يقول ابن الجوزي :

«ان قدامك يوماً لو به

هددت شمس الضحى عادت ظلاماً

فانتبه من رقدة اللهو وقم

وانف عن عين تماديك المناما

صاح صح بالقبر يخبرك بما

قد حوى واقرأ على القوم السلاما»

---

(١) المطففين : ٣٠

العمر انفاس تطير

يقول ابن الجوزي : «**العمر انفاس تسير، بل تطير، الامل منام لا ترى فيه الا الأحلام**»ويشبه قول البصري : «**انما انت ايام فاذا ذهب يومك ذهب بعضك**» فحياة الانسان انفاس محدودة معدودة، تطير، فبعد كل نفس تقترب من الأجل، واذا جاء الأجل انقطع العمل، فمن يعتبر؟.

الصخور الواعظة

يقول ابن الجوزي : «**قل للذين تديروا تدبروا، اين البيوت؟ جوزوا على الذين جاوزوا، فقد وعظ الخفوت، كم مسئول عن عذره؟ في قبره بهوت، لقد انطق الوعظ الصخور الصموت، اما يكفي زجراً انك تموت**».

يخاطب ابن الجوزي الذين (تديروا) اي من اتخذوا البيوت داراً كأنهم خالدين فيها، ان يتدبروا اين البيوت التي ذهبت؟؟ ويقول لهم جوزوا اي مروا على الذين (جوزوا) اي جعلوا الحرام حلالاً ماذا حدث لهم من الأقدار، فيكفي واعظاً صوت المريض وهو (الخفوت)، والصخور الصامتة وهي القبر كانت خير واعظ.



هكذا هو الانسان

يقول ابن الجوزي :

«والمرء مثل هلال عند طلعته

يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق

يزداد حتى اذا ما تم اعقبه

كر الجديدين نقصاً ثم ينمحق»

وأفضل من ذلك ما قاله الله ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾ [١].

بكاء ابن المنكدر[٢]

يقول ابن الجوزي : **«كان ابن المنكدر كثير البكاء، فسئل عن ذلك،**

فقال : آية من القرآن أبكتني ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

---

(١) الكهف : ٤٥

(٢) تابعي التقي بالكثير من الصحابة، وكان علماً بالحديث والزهد والأدب.

﴿يَحْتَسِبُونَ﴾[(١)] كيف لا تذهب العيون من البكاء؟ وما ادري ما قد أعد لها) هذا التابعي يمثل شريحة من اصحاب القلوب الحية، فأين قلوبنا منهم؟

تلك الآية التي ابكت التابعي الجليل، أبكته لأنها تعني ما لا يفهمه الكثير من قارئي القرآن.

يقول الامام الطبري: «وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه - الذي كان أعده لهم - ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم» [(٢)] اي لم يكونوا يتوقعوه.

مراهم الجراحات

يقول ابن الجوزي: **«انجع المراهم لجراحات الذنوب البكاء»** ذلك لان البكاء هو العلامة الساطعة لأول شروط التوبة وهو (الندم) فقد يتألم المذنب، ويتأسف على لحظات المعصية، ولكن الذي يصدق ذلك هو البكاء، لذلك كان انجع مراهم جراحات الذنوب.

(١) الزمر: ٤٧

(٢) تفسير الطبري ص ٤٦٣ ـ مشروع المصحف الإلكتروني ـ جامعة الملك سعود



جرحى الذنوب

بعد ان دلنا ابن الجوزي على انجع مراهم جراحات الذنوب، ينادي الجرحى «**يا جرحى الذنوب، قد عرفتم المراهم، اخرجوا من قصر مصر الهوى، وقد لاحت مدينة مدين**» إشارة الى هجرة موسى مصر الى مدين، هروبًا من ارض الشرك الى مكان يستطيع عبادة الله فيه.

وحتى تكتمل توبة العاصي، وتثبت قدماه لابد له من ثلاث هجرات :

١- هجرة للمعاصي.

٢- وهجرة لمكان المعصية.

٣- وهجرة للعصاة.

فاذا لم يجدها في مكانه الذي هو فيه فليهاجر الى مكان يستطيع ان يزاول عبادته في اجواء الحرية، وحتى يبذل أسباب الثبات.

واستكمالاً للهجرة يكمل ابن الجوزي الحديث عن هجرة المكان فيقول : «**دخل اليوم موسى وعظي، الى مدينة مدين قلبك، فوجد فيها رجلين يقتتلان، القلب والهوى، فاستغاثه**

الذي من شيعته، وهو القلب، على الذي من عدوه، وهو الهوى، فوكزه موسى فقضى عليه».

يذكر ابن الجوزي سبب رحلة سيدنا موسى من مصر الى مدين فيقول : **«كان قتل الهوى سببًا للخروج من قصر مصر الغفلة، الى شعب شعيب اليقظة»** ان احد ابرز عوامل الانتصار على الهوى(التضحية) بالكثير من متع الحياة ولذاتها ، في سبيل لذة اعظم ومنزلة ارفع، مؤجلة في الآخرة، لذلك يخسر الكثير في معركته مع الهوى لأنه يريد اللذة العاجلة.



طبعنا التعامي

يقول ابن الجوزي :

«قل لمن فاخر بالدنيا وحامى
قتلت قبلك ساماً ثم حاماً
ندفن الخِلّ وما في دفننا
بعده شك ولكن نتعامى»

نتعامى ونتناسى ونتغافل، ان يوما قادم لا محالة سندفن كما دفنا احبابنا ؟

جوارحك جوارحك

يقول ابن الجوزي «**يا سليماً يظن انه سليم، جوارحك جوارحك**» فالكثير من الناس يظن خطأً انه على الحق وهو على الباطل، كما قال الله فيهم ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] ذلك لان جوارحهم هم سبب جراحاتهم وهم ألد اعدائهم ولكنهم لا يشعرون.

سور تقواك

يقول ابن الجوزي مخاطباً من يظن انه على الصراط المستقيم، وهو أبعد ما يكون : «**سور تقواك كثير الثلم، واعداؤك قد أحاطوا بالبلد**» فلابد من المراجعة والمحاسبة، والتصفية للكثير من أقوالنا وأفعالنا. ومواقفنا، فقد تكون بعيدة كل البعد عما يريده ربنا، بل ربما تكون من ابرز ما يريده شياطين الانس والجن، علينا سد الثلم في سور تقوانا، قبل ان يجتاحنا الأعداء ويدكون حصوننا.

(١) الأعراف: ٣٠

الراحلون بلا رواحل

يقول ابن الجوزي : «**ما قعودنا وقد سار الركب؟ ما ارى النية الآنية؟**

يا مسافرين ؛ من عَزَمَ تزود،

يا راحلين بلا رواحل، وطّنوا على الانقطاع، ليت المحترز نجا، فكيف المهمل؟»

توصيف عجيب (راحلين بلا رواحل) ذلك لأن الناس جمعياً مسلمهم وكافرهم متيقنون بأنهم راحلون، ولكنهم مختلفون في أعداد تلك الراحلة من عدمه.

قال ابن الجوزي : «**لما توعّد فرعون السحرة بالصلب، انساهم امل لقاء الحبيب مرارة الوعيد** ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[1] يا فرعون، غاية ما تفعل ان تحرق الجسم، والركب قد سرى (لا ضير) من لاحت له (مِنىٰ) نسي تعب المدرج».

يفصح ابن الجوزي عن احد اسرار ثبات اصحاب الحق امام تهديد الطغاة بالسجون وألوان التعذيب وأنواع القتل، ذلك بتذكر وعد الله بالجنة ولقائه يوم القيامة، فلما عقدوا

---

(١) الأعراف : ١٢٥

المقارنة هانت أمامهم كل مصائب الدنيا وعذاباتها، فصاحوا بوجهه ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾[(١)]

قاعدة نسيان الألم الحاضر بتذكر الامل القادم، كانت احد ركائز ثبات المؤمنين على مر العصور، منذ عصر سيدنا ادم وحتى آخر المؤمنين قبضاً في الدنيا.

لقد ضرب الامام ابن الجوزي مثلًا دنيويًا عن سر الصبر على الألم الحاضر بتذكر الامل القادم بالمسافر للحج وما يصيبه من تعب الطريق كيف يزول عندما تلوح له آثار مِنى او الحرم، فكيف عندما يكون قد تذكر ما هو اعظم؟ من لقاء الله ورؤية وجهه الكريم والجنة والحور والجنان وما فيها، الا يكون ذلك دافعًا لنسيان الالم الحاضر؟.

يا اهل البلاء

- يامن طال عليهم البلاء
- يامن تأخر عليهم الفرج
- تذكروا تكفير السيئات

(١) الشعراء: ٥٠

● تذكروا رفع الدرجات

تذكروا ما أعده الله لكم في الاخرة مما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على بال بشر، فان تذكر هذه الأمور ينسيكم الم البلاء الذي انتم فيه.

الاستئذان على البِلاء

يقول ابن الجوزي :

«الشباب باكورة الحياة،

والشيب رداء الردى،

اذا قرع المرء باب الكهولة، فقد استأذن على البِلاء»

فسن الشباب يبدأ من البلوغ حتى الأربعين، والكهولة تبدأ من الاربعين حتى الستين، فاذا ما بدأ الشيب ودخول مرحلة الكهولة فقد اقترب من النهاية فليستعد وليعتبر .

لصوص الهوى

قال ابن الجوزي : **«ما قدر لص قط على فطِن، ومتى نام حارس الفكر انتبه لص الهوى»** والصراع بين العقل والهوى مستمر، فلا يحدث الخطأ الا اذا انتصر الهوى، فمن كان حريصاً على عدم الوقوع بالخطأ يفعّل فطنته لتحرس العقل من

ولوج لصوص الهوى الى الداخل.

ذكر الامام ابن الجوزي الصراع بين العقل والهوى، فمن غلب عقله نجا ومن غلب هواه سقط، فما هو الهوى؟ الهوى (هو ميل النفس لما يلائمها) كما ذكر ابن القيم، وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم، وقيل انه سمي بالهوى لأنه يهوي بصاحبه.

وفي ذم الهوى قال تعالى ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾[١] وقال ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[٢] فلا شك في خسران من بدى له الحق واضحا وارشده عقله اليه ثم يعدل عنه بما يمليه عليه هواه.

اخرج الامام المنذري قول النبي ﷺ «**إنما أخشى عليكم شهواتِ الغيِّ في بطونكم وفروجِكم، ومُضِلَّاتِ الهوَى**»[٣] فاتباع الهوى والاستسلام له وترك ما يبديه له الناصحون والصالحون من الحق، وما يوضحه له عقله، لاشك انه من

(١) النساء: ١٣٥

(٢) ص: ٢٦

(٣) أخرجه المنذري وصححه الألباني (صحيح الترغيب ٢١٤٣).

اكثر ما كان يخشاه النبي على امته.

كان الامام علي يقول: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ**»[١] انه صراع مستمر بين العقل والهوى، فمن انتبه ووضع على العقل حارسًا فلا يمكن للصوص الهوى ان يلجوا اليه.

لقد لخص الله الصراع بين النفس والهوى ونتيجة هذا الصراع بقوله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢]

اذن لا يمكن ان ينتصر على هواه حتى يستحضر عظمة الله، ويتذكر وقوفه بين يديه، فذلك هو الحارس الذي عناه ابن الجوزي.

يقول الامام ابن باز في تفسيره للآية ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[٣] «زجرها عن هواها، وخالفها وألزمها بالحق وكبح جماحها حتى لا تقع فيما حرم الله من الزنا أو شرب المسكر أو تعاطي الربا،

---

(١) أخرجه أبو داود في الزهد ص ١١٦.
(٢) النازعات: ٤٠- ٤١
(٣) النازعات: ٤٠

أو الغيبة أو النميمة أو العقوق للوالدين، أو قطيعة الرحم، أو ظلم الناس في أموالهم ودمائهم وأعراضهم إلى غير هذا، هذا الذي نهى نفسه عن هواها وألزمها بالحق خوفًا من الله وطلباً لمرضاته له الجنة والكرامة»[١].

يقول ابن الجوزي: «**كم صادفت الهوى فصدّقت؟**

لقد خدع قلبك الهوى

فاستُرِقْ، فاسْتَرَقْ»

فاذا لم يكن المؤمن حذرًا من خداع الهوى، وبما يمليه عليه من الأدلة التي تتماشى مع شهوته، فانه يسرق قلبه ثم يكون أسيرًا، يستذله أينما شاء ووقتما شاء.

يقول ابن الجوزي: «**اخواني:**

- **جدوا فقد سبقتم،**
- **واستعدوا فقد لُحقتم،**
- **وانظروا بماذا من الهوى علقتم،**
- **ولا تغفلوا عمّا له خُلقتم،**

---

(١) الموقع الرسمي للإمام ابن باز ـ تفسير قوله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ النازعات: ٤٠

- **ذهبت الأيام وما اطعتم،**
- **وكتبت الآثام وما اصغيتم»**

فالأذكياء هم من ينظرون في العمل لمن هم ارفع منهم ليجدّوا

يحصر الامام ابن الجوزي اسبابً التأخر بالسعي للآخرة في سببين :

- الهوى
- نسيان الهدف من الخلق

ولا بد من جلسة محاسبة للبحث عن الهوى الذي يمنعه من التقدم، ثم وقفة مع النفس لاستحضار الهدف من الخلق، وهو العبادة، فكل هدف دنيوي تافه امام هذا الهدف العظيم .

المكارم والمكاره

يقول ابن الجوزي : «**ابتليت الهمم العالية بعشق الفضائل، شجر المكاره يثمر المكارم**» ولا سبيل امام اصحاب الهمم العالية للوصول الى اهدافهم النبيلة الا في سلوك طريق طويل من المكاره، فمتى يعي الدعاة ذلك ؟؟ ؟

حوائج القلب

يقول ابن الجوزي : «**يا هذا فني العمر في خدمة البدن، وحوائج القلب كلها واقفة، انهض الى التلافي قبل التلف**» وهكذا حال معظم الناس يفنون حياتهم فيما يحتاجه البدن من المطعم والملبس والدواب والمسكن والشهوات، ويغفل تماماً عن حاجات القلب حتى يتيبس ويعلوه الصدأ.

اصنع القرار ولا تتردد

يقول ابن الجوزي : «**اذا هممت فبادر، وان عزمت فثابر، واعلم انه لا يدرك المفاخر من رضي بالصف الآخر**» فالذين يسعون للأهداف السامية لا يجلسون في بيوتهم ويدعون، بل يثابرون ويصبرون ويتحملون ولا يترددون حتى بإذن الله يصلون.

الغمس في الرمس

قال ابن الجوزي : «**يا مطلقاً نفسه في محظور شهواتها، اذكر الغمس في الرمس**» حديث: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ**»[(١)] يعني انه اثناء اقتراف المعصية يغيب عنه الشعور

(١) رواه البخاري ٦٧٨٢ وله تكملة.

برقابة الله عليه، وكذلك ينسى انه سيدفن يوماً في القبر وهو الرمس.



اليقظة

قال ابن الجوزي :

«من خاف الجزاء بما في الكتاب تاب،

من حذر أليم العذاب ذاب،

من سار في طريق الإيجاب إنجاب»

فالخوف من الجزاء والحذر من اليم العذاب وترجمة ذلك بالسير في طريق الحق لابد ان ينتج استقامة وهداية، فلقد قال المستقيمون على الطريق ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ (١)

ضاع عمرك

يقول ابن الجوزي :

«ويحك دع محبة الدنيا،

فعابر السبيل لا يتوطن،

واعجباً تضيع منك حبة فتبكي،

(١) الإنسان: ١٠

وقد ضاع عمرك وانت تضحك»

فلا يوجد خالد في الدنيا، ولكن المتعلقون فيها يحسبون انهم خالدون، لذلك فانهم يحزنون عند فوات زينة منها، بينما تضيع أعمارهم وهم غافلون؟



حقيقة الدنيا

يقول ابن الجوزي:

- **«انما الدنيا سوق للتجر،**
- **ومجلس وعظ للزجر،**
- **وليل صيف قريب الفجر»**

هذه حقيقة الدنيا لمن يعقلها

فهي سوق لتجارة الدنيا والآخرة، وتقلباتها وبلاؤها ووعظ للنابهين، كما انها ليل صيف سريعة الانقضاء لمن يدركون.

عندما يصيح اسرافيل

يقول ابن الجوزي:

«كيف بكم اذا صاح اسرافيل في الصور بالصور، فاسمع

العظام البالية تحت المدر، فاجتمعت من بطون السباع وحواصل الطير، فقامت تبكي على فرات الخير، وسار الخلائق كلهم حفاة عراة، كل منهم مشغول بما عراه» تفكروا بهذه اللحظات.

ظلمة محراب القلب

يقول ابن الجوزي: «**قنديل الفكر في محراب قلبك مظلم، فاطلب له زيت خلوة وفتيلة عزم**»

التفكر في آلاء الله وعجائب قدره، وجزاء المحسن وعقوبة المسيء، ونهاية الانسان، وغيرها ترقق القلب وتحييه، وإغفال التفكر يطفؤه.

مزابل الطمع

يقول ابن الجوزي:

«**ولَّ الدنيا ظهرك، ترفع الاخرة لك نقابها، تعر عن الدنيا تعز، وخذ قدر البلغة وجز تفز، الى متى زنبيل حرصك على كاهل همتك، وانت تسعى في مزابل طمعك**».

انها قاعدة لا تتغير، من اعرض عن الدنيا سعت اليه، ومن سعى لها هربت منه، وعلى مقدار ابتعادك من زينة الدنيا تتقرب إليك الآخرة، سواءً بسواءٍ.

القلوب الغافلة

يقول ابن الجوزي : «**من زار القبور والقلب غافل، وسعى بين الأجداث والفكر ذاهل، وشغله عن الاعتبار لهو شاغل، فهو قتيل قد اسكره القاتل**».

قطعاً فان من كان بين القبور وهو غافل، فقد غلبه الهوى حتى اسكره فما عاد يشعر

كيف عز يوسف عليه السلام ؟

يقول ابن الجوزي : «**ما عز يوسف الا بترك ما ذل به**» ابى الله الا بإذلال صاحب المعصية، وبتركها تكون العزة، فكل عاص ذليل، وكل مبتعد عنها عزيز، فاختر بين العزة والذلة.

من العبودية الى الملك

المتفكر بقصة سيدنا يوسف عليه السلام يجد العجب العجاب، ويرى يد الله الحانية لعبده الصالح مهما اصابه الله من البلاء، ومما يراه ان الخوف من الله في السر والعلن ينتج عنه العزة والكرامة، فعندما رفض المعصية بالسر وهو عبد، رفع الله قدره بالعلن، ونقله من العبودية الى الملك.

اذلال العاصي

ابى الله الا ان يذل العاصي بسبب معصيته، فكم شاهدنا وسمعنا ما يعانيه العاصي من المذلة، فها هو على سبيل المثال المدمن كيف يتوسل تاجر المخدرات ان يعطيه جرعه، ويتنازل له عن كل عزيز من اجلها، بل بعضهم يبيع شرفه، وآخر يرضى بان يكون عبدا له.

استغلال الفرص

يقول ابن الجوزي :

«الفرصة زورة طيف،

الصحة وقدة ضيف،

الغرة نقدة زيف،

الدنيا معشوقة وكيف،

البدار البدار فالوقت سيف»

فالفرص تعرض على الجميع، وكأنها طيف يمر، والأذكياء وحدهم هم من يقتنصون هذه الفرص فيرتقون، والصحة فرصته من هذه الفرص، والأذكياء وحدهم هم الذين يستغلونها في الارتقاء.

استعداد العقلاء 

يقول ابن الجوزي : «**جمعوا الرحل قبل الرحيل، وشمروا في سواء السبيل، فالناس في الغفلات، وهم في قطع الفلاة**» تراهم في استعداد دائم، ادوا فرائضهم وزادوا عليها بالنوافل، وتركوا المعاصي، وبالغوا حتى في ترك الشبهات، فاذا ما جاء الموت لم يرعبوا ويقلقوا فهم على استعداد لملاقاة ربهم.

اين من حصن الحصون ؟

قال ابن الجوزي : «**أين من حصن الحصون واحترس،**

وعمر الحدائق وغرس،

ونصب سرير الكبر وجلس،

وظن بقاء النفس فخاب الظن في نفس، نازله الموت فلما انزله عن ظهر الفرس فرس، ووجه وجهه الى دار البلى فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة بين العيب والدنس».

ميز بعقلك

قال ابن الجوزي: «**ويحك ميز بعقلك وحسك بين الدارين، وأحضر الذنب والعقاب والمح العاقبتين**» اي عاقل يعقد هذه المقارنة فيختار الدنيء الزائل الهالك على الخالد الدائم الذي

لا يقارن بجماله ولذته وبقائه، واي عاقل يقرن بين العقوبتين في الدنيا والاخرة فيختار عقوبة الاخرة لتعلقه بلذة زائلة.



ثوب الغرور

يقول ابن الجوزي :

- «يا سادراً في سكر سروره،
- يا سادلاً ثوب غروره،
- كأنك بك، قد اقتعدت غارب الغربة،
- واستبدلت بالأثواب التربة».

الجفن الناعس

قال ابن الجوزي : «متى تنتهي لخلاصك ايها الناعس ؟ متى تطلب الأخرى يامن على الدنيا ينافس، متى تذكر وحدتك اذا انفردت عن مؤانس، يامن قلبه قد قسا وجفنه ناعس ؟».

تذكر واعتبر

قال ابن الجوزي :

- «اما عاقبة الألفة فرقة ؟

- **اما آخر جرعة اللذة شرقة ؟**
- **اما ختام الفرح قلق وحرقة ؟»**

وصدق الرسول ﷺ عندما قال «**واحبب من شئت فانك مفارقه**»(١).

قال ابن الجوزي :

«**أما زاد ذي مال الى القبر خرقة ؟**

أعر سمعك الأصوات، فهل تسمع الا فلاناً مات ؟

أجل بصرك في الفلوات، فهل ترى الا القبور الدارسات ؟»

كم من أصدقائك وأقربائك قد فارقك، الم يذكرك ذلك، ويرجعك الى صوابك.

خيول الرحيل

قال ابن الجوزي : «**مر الأقران على مدرجة، وخيول الرحيل للباقين مسرجة**» فقد رحل الكثير من أصحابك ومحبيك ومن كانوا في الدراسة او العمل او الحي معك، وانت تظن ان

---

(١) رواه الطبراني والحاكم وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٧٣) و بدايته «**أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ فقال : يا محمَّدُ ! عِشْ ما شئتَ**».

رحيلك بعيد جداً، بينما دابة الرحيل قد تجهزت لرحيلك، افلا تعتبر؟

بادر صبابة القوى

قال ابن الجوزي: «**يامن ضيع الشباب وما يسمع العتاب، وقد شاخ، بادر صبابة القوى، فاستدرك باقي الطباخ وتأهب للرحيل**» كم من الشباب توجه لهم أطنان من النصائح من والديهم ومعلميهم ومحبيهم والدعاة، ولكن الهوى يغلبهم، ويتعالون على النصح حتى يشيخوا على معاصيهم، الم يحن الوقت بما تبقى لكم من قوة ان تتوبوا قبل الرحيل؟

متى نستعد؟

قال ابن الجوزي:

- «**عجباً لراحل مات، وما تزود للرحلة،**
- **ولمسافر ماج وما جمع للسفر رحله،**
- **ولمتنقل الى قبره لم يتأهب للنقلة،**
- **ولمفرط في امره لم يستشر عقله**»

هذا حال معظم الناس، لذلك فان معظمهم يدخل النار،

لانهم لم يستعدوا ففاجأهم الموت.

ما هذه الدنيا بمناخ؟

قال ابن الجوزي: «**ما هذه الدنيا بمناخ، كم بات مزمار في بيت فأصبح فيه الصراخ**» فهي ليست دار إقامة وبقاء، فكم من ملك زال، وثروة تبددت، وقوة ضعفت، وجمال ذبل، وأفراح غدت احزان، فمتى تعتبر؟

اخلاق الاطفال

قال ابن الجوزي: «**اذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك فاستعمل اخلاق الاطفال، فان الطفل اذا طلب من ابيه شيئاً فلم يعطه بكى عليه**»

انها اللحظات الصافية من الرياء، لحظات يحسن فيها التذلل بين يدي مولاك، والإلحاح بطلب المغفرة والصفح والبكاء بين يديه.

شروق بلا غروب

يقول ابن الجوزي: «**يامن يذنب ولا يتوب، كم قد كتبت عليك ذنوب، خل الامل الكذوب، فرب شروق بلا غروب،**

واأسفى اين القلوب ؟»

احد اهم اسباب الاستغراق في المعاصي ظن المذنب بان الموت بعيد جدا عنه، ولا يدري بانه قد يأتيه فجأة من غير مقدمات.



يقول ابن الجوزي : «**ان لم تكن أسداً في العزم، ولا غزالاً في السبق، فلا تتثعلب**» فالمكر في أمور الدنيا قد يكسبك بعض المنافع، اما في أمور الاخرة فأنت مكشوف تماما امام خالقك ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾[1] فلا تتثعلب.

اتعب لترتاح

يقول ابن الجوزي : «**يا هذا ! الجد جناح النجاة، وكسلك مزمن، من كد كد العبيد، تنعم تنعم الأحرار**»

عمرك محدود، وفرصتك واحدة، ولن تعطى فرصة اخرى، وعلى مقدار جدك تكون منزلتك، فكن من الأوائل ولاتكن

(١) غافر: ١٩

خلف الركب فتندم.



قاعدة (الراحة نتيجة التعب)

هي قاعدة ليست في أمور الاخرة فحسب، بل حتى في أمور الدنيا، فالكسالى والحالمين من غير بذل للأسباب سيبقون في اماكنهم، حتى ولو مر عليهم الزمن الطويل، يبقون دون تطور، بل في تراجع مريع، اما الذين تعبوا في بذل الأسباب فهم من يرتاحون ويجنون الكثير من الثمار.

قصة انتصار

قال ابن الجوزي: «**قيل لبعض اهل الرياضة - اي اصحاب مجاهدة النفس - كيف غلبت نفسك؟**

فقال: «قمت في صف حربها بسلاح الجد، فخرج مرحب(١) الهوى يدافع، فعلاه علي العزم بصارم الحزم، فلم تمض ساعة حتى ملكت خيبر» انها قصة قتال اليهودي مرحب مع سيدنا علي رضي الله عنه.

---

(١) مرحب هو الفارس اليهودي الذي تحدى منازلة فرسان المسلمين في معركة فتح خيبر، فخرج له علي رضي الله عنه وقتله.

العجز عندما تسنح الفرصة

قال ابن الجوزي: «**لقد أمكنت الفرصة أيها العاجز، ولقد زال القاطع، وارتفع الحاجز، أين الهمم العالية؟ وأين النجايز؟، أما تخاف هادم اللذات**».

الكثير الكثير من الفرص يتيحها الخالق للعبد ولكن البعض يغلبه الكسل عن ادراك خطورة عدم إدراكها.

تربية الصقور

يقول ابن الجوزي: «**انما يتعب في تعليم البازي، ليصيد ماله قدر، ولما تعلم بازي فكرك، أرسلته على الجيف**» فلقد منحك الله هذا العقل بأحسن صورة، لاستخدامه في النجاة من النار والفوز بالجنة، لا ان تستخدمه بالمعاصي والزينة الزائلة، لقد سماها (جيف) لأنها فانية.

اين المبارز

قال ابن الجوزي: «**اما الطريق طويله، وفيها المفاوز
اما القبور قنطرة العبور، فمن المجاوز؟**

اما يكفي في التنغيص حمل الجنايز ؟

اما العدو محارب، فهل من مبارز ؟»

فطريق الدنيا طويل وفيه متاهات كثيرة، والقبور نهاية الطريق للآخرة فهل تنجح بالوصول بأمان ؟.

كفى بالموت واعظاً

يستشهد ابن الجوزي بأبيات لأبي العتاهية :

وَعَظَتْك أَجْدَاثٌ صُمُتْ وَنَعَتَك أَزْمِنَةٌ خُفُتْ

وَتَكَلَّمَتْ عَنْ أَوْجُهٍ تُبْلَى وَعَنْ صُوَرٍ سُبُتْ

وَأَرَتْك قَبْرَك فِي الْحَيَاةِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

ما اكثر ما ندفن من الموتى ونزور القبور والقليل من يعتبر.

التوبة التوبة

قال ابن الجوزي : «**التوبة التوبة قبل أن تصل النوبة،**

الإنابة الإنابة قبل ان يغلق باب الإجابة

الإفاقة الإفاقة فيا قرب وقت الفاقة»

انها ثلاثة مراحل (التوبة والإنابة والإفاقة) تجعلك اقرب

للنجاة وحسن الخاتمة

فالتوبة هي الاعتراف والندم والإقلاع والعزم على عدم العود.

والإنابة هي الرجوع إلى الله وعكوف القلب على طاعته،

والإفاقة هي الاستيقاظ من الغفلة.

حصن الزهد

قال ابن الجوزي: «**لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا باهلها، وخداع الامل لأربابها، لجأوا الى حصن الزهد كما يأوي الصيد المذعور الى الحرم**»

لا يعني هذا ترك الدنيا واعتزالها، بل يعني ان كمال الزهد هو عدم التعلق القلبي بها، فلا يفرح بإقبالها، ولا يحزن بإدبارها.

الطرف الكليل

يقول ابن الجوزي:

«**من نصب لك الموت دليلاً؟**

اذ ساق العزيز ذليلاً،

لقد حمل الى القبور جيلاً جيلا،

لكن الهوى أعاد الطرف كليلاً»

انه ليس الطرف الذي في الرأس بل الطرف الذي في القلب بعد ان أعماه الهوى.

عرائس الهدى

يقول ابن الجوزي : **«من جلا عين بصيرته من قذى الهوى، جلى على بصره عرائس الهدى»** .

(جلا) اي طهر ونظف ونقى بصيرته من أقذار المعصية، وجلى اي وضح وبان وظهرت علامات الهدى كأنها عرائس تساق له في ليلة دخلته.

الشوق يهون بعد الطريق

يقول ابن الجوزي : **«من امتطى راحلة الشوق، لم يشق عليه بعد السفر»**

الدنيا بأيامها وسنواتها ومحنها طويلة على القابضين على دينهم كالجمر، ولكن الذي يهون بعد الطريق وكثرة المحن الشوق لما اعد الله من الجنان وما فيها من النعم والتي أجلَّها رؤية وجه الرحمن.



وضوح الهدف

يقول ابن الجوزي : «**متى ما لاحت الفريسة، قذفت الغابة السبع**» فأصحاب الصيد متى ما رأوا الفريسة ارسلوا لها الكلاب او الصقور لمطاردتها، كذلك اصحاب الهمم العالية عندما وضح لهم الهدف من الخلق اندفعوا اليه ولم يدخروا وقتا حتى يدركوه.

حذر اصحاب البصائر

يقول ابن الجوزي : «**لاح لهم حب المشتهى، فلما مدوا اليه أيدي التناول، بان لأبصار البصائر خيط الفخ، فطاروا بأجنحة الحذر**» فأصحاب الحق بشر، تمر عليهم لحظات ضعف، فربما اقتربوا في فترات ضعفهم من الهاوية، ولكنهم يستدركون قبل السقوط، فيهربون هروب الفريسة من السبع.



كن على حذر

يقول ابن الجوزي :

«**وحدثتك الليالي ان شيمتها**

تفريق ما جمعته فاسمع الخبرا

وكن على حذر منها فقد نصحت

وانظر اليها تر الآيات والعبرا

فهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وهل سمعت بصفوٍ لم يعد كدراً» تأمل واعتبر.

الأسفار الستة

قال ابن الجوزي: «**خلقنا نتقلب في ستة أسفار، الى ان يستقر بِنَا المنزل :**

السفر الأول : سفر السلالة من الطين

والثاني : سفر النطفة من الصلب

والثالث : من البطون إلى الدنيا

والرابع : من الدنيا إلى القبور

والخامس : من القبور الى العرض

والسادس : إلى منزل الإقامة

فقد قطعنا نصف الطريق وما بعد اصعب» يا له من سفر عجيب لو تفكرنا.

ايها النيام استيقظوا

يقول ابن الجوزي :

- «**ذهبت الأيام وكتبت الآثام، وإنما ينفع الملام متيقظاً.**
- **وعظتنا بمرها الأيام**
- **وأرتنا مصيرنا الارجام**
- **ودعتنا المنون في سنة الغفلة**
- **هبوا واستيقظوا يا أنام**
- **ليت شعري ما يتقي المرء والرامي**
- **له الموت والخطوب سهام**»

العمر يمضي

يقول ابن الجوزي : «**العمر يسير وهو يسير، فاقصروا عن التقصير في القصير، اما دراك قبل امتناع الفكاك**» هكذا هي الدنيا سريعة الانقضاء، وعمرك بمضي سريعاً، فمتى تستدرك ما فاتك، وانت غارق بالانشغال بأمور الدنيا الزائلة، وتترك اخرةً باقية.

ألا تعتبر

يقول ابن الجوزي : «**يامن قد بلغ أربعين سنة، وكل عمره نوم وسنة، يا متعباً في جمع المال بدنه، ثم لا يدري لمن قد خزنه، أعلم هذه النفس الممتحنة، انها بكسبها مرتهنة**» جميع الأنبياء كلفوا بسن الأربعين، لأنه سن النضوج، فمن مضى من عمره كل هذه السنين، فماذا ينتظر، ومتى يفكر ؟؟.

نخطو الى الأجل

يقول ابن الجوزي :

«**نَخطو وَما خَطوُنا إِلاّ إِلى الأَجَلِ**

وَنَنقَضي وَكَأَنَّ العُمرَ لَم يَطُلِ

وَالعَيشُ يُؤذِنُنا بِالمَوتِ أَوَّلُهُ

وَنَحنُ نَرغَبُ في الأَيّامِ وَالدُوَلِ» (الشريف الرضي)

فانقضاء كل يوم رسالة بدنو الأجل واقتراب الرحيل، فمتى نستعد ؟؟

عزمة الحازم

يقول ابن الجوزي: «**هلا شددت الحيازم، وقمت قيام**

حازم، وفعلت فعل عازم، وقطعت على امر جازم، تقصد الخير، ولكن ما تلازم»

فانك لن تصل الجنة من غير حزم، ولن تغلب الشيطان الا بحزم، ولن تنتصر على النفس الأمارة الا بحزم، ولن تقوى على وسوسة الانس والجن الا بحزم، فمتى تنتقل من التردد الى الحزم ؟؟.

فارق نفسك خطوة

يقول ابن الجوزي : **«جاء رجل الى أبي علي الدقاق[١] فقال : قد قطعت إليك مسافة، فقال : ليس هذا الامر بقطع المسافات، فارق نفسك بخطوة، وقد حصل لك مقصودك»** فمن أراد التحرر عليه اولا ان يتحرر من أسر نفسه الإمارة، فمن غادرها خطوة يبدأ باستنشاق نسيم الايمان.

وادي الأسف

قال ابن الجوزي: **«من نام على فراش الكسل سال به سيل التمادي الى وادي الأسف»** فالكسل يجر صاحبه وينحدر به من خسارة الى خسارة حتى يفاجئ بالموت وهو خال الوفاض،

(١) هو الحسن بن علي بن محمد النيسابوري، مشهور بالزهد.

حيث لا ينفع الندم.



نجم الهمة

يقول ابن الجوزي: «**إذا طلع نجم الهمة، في ظلام ليل البطالة، ثم ردفه قمر العزيمة - أشرقت الارض بنور ربها**» انها الهمة التي تجعل ما يظن مستحيلاً ممكناً، والتي تدفع صاحبها الى الصعود في اعلى المراتب، وتحيل ظلام حياته الى نور ساطع.

من طلب الراحة تعب

يقول ابن الجوزي : «**يا طالباً للدعة، أخطأت الطريق، علة الراحة التعب**»

لو كان الانسان يعلم موعد الرحيل لخطط للراحة اثناء الرحلة، اما وانه يجهل موعد الرحيل فالراحة قد تحرمه من استدراك ما فاته، فتفجعه النتيجة يوم العرض الأكبر.

حوار بين الزيت والماء

يقول ابن الجوزي :«**صب في القنديل ماء، قم صب عليه زيت، صعد الزيت فوق الماء،**

فيقول الماء : انا ربيت شجرتك فأين الأدب؟ لم ترتفع

علي؟».

يكمل ابن الجوزي الحوار: «**فيقول الزيت: انت في رضراض الأنهار تجري على طريق السلامة، وانا صبرت على العصر، وطحن الرحاء، وبالصبر يرتفع القدر.**

فيقول الماء: الا أني انا الأصل

فيقول الزيت: استر عيبك، فانك لو قارنت المصباح انطفئ»

نعم ففي المجاهدة ترتفع الأقدار.

الشيطان لك بالمرصاد

يقول ابن الجوزي: «**كل يوم تحضر المجلس يقف لك الشيطان على الباب، فإذا خرجت كما دخلت، قال: فديت لمن لا يفلح**» فبعد المواعظ والزواجر والنصائح التي تسمعها من خلال الخطب والدروس في المساجد ووسائل الاعلام ولم تتأثر أو تتغير فهذه أمنيه الشيطان.

من هاب وعورة الطريق تأخر

يقول ابن الجوزي: «**متى هاب الغائص موج البحر، لم يطمح له في نيل الدرر**» فالذي يترك سلوك الطريق المستقيم،

والتضحية في سبيله بالغالي والنفيس، خوفا مما يصاب به من أعداء الحق من الأذى، فانه لن ينال المنازل العليا في الدارين منا وعد الله.

هل تعرف قيمة نفسك ؟

يقول ابن الجوزي: «**قنعت الذبابة بطرف ظرف العسل، ما تلفت لو عرفت قيمة نفسها، رخصت لو غلت ما اوغلت**» ولو عرف الانسان الذي أكرمه الخالق فجعله في احسن تقويم، وفضله على كثير من خلقه لما أرخص نفسه باقتراف المعاصي.

متى يعتبر المغرور

يقول ابن الجوزي : «**ألا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ؟ كم رأى جباراً فارق مسكنه، ثم سكن، فسكن مسكنه**»

لو اعتبر الطغاة الجبابرة بمن مات قبلهم من الطغاة، لما استمروا في طغيانهم، ولكنه الغرور الذي اعمى بصيرتهم ؟

تأنيث العزيمة

يقول ابن الجوزي: «**الجد كله حركه، والكسل كله سكون، اذا اردت ان تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من البيضة،**

فعلقه من بمنقاره، فان تحرك فديك، والا فدجاجة، فتورك في السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم» فانظر مع اي الفريقين أنت.

نسمات الرجاء

يقول ابن الجوزي: «**أيدي صبيان التوبة في افواههم بعد طعم الرضا، بينا ليل زللهم قد عسعس، اذا صبح يوم توبتهم قد تنفس، فكلما احترقت قلوبهم بالخوف، تعرضوا بنسمات الرجاء للعفو**» ايها المسرفون في المعاصي لا تقنطوا من رحمة الله، فأبواب التوبة تنتظر قدومكم.



آن الحصاد

يقول ابن الجوزي :

- «**أَيهَا الشُّيُوخ آن الْحَصاد،**
- **أَيهَا الكهول قرب الجداد،**
- **أَيهَا الشَّبَاب كم جرد الزَّرْع جَراد**»

اياك ان تغتر بعمرك او صحتك او مالك او منزلتك، فان كل ذلك لن يمنع الأجل عندما يحين الحصاد.

صفة العباد

يصفهم ابن الجوزي: **«عصفت رياح الزفرات، من قلب المشوق، فانقلع شكر الدمع، فلو رأيت وكف شئونهم، قلت قد انقطع شريان الغمام، هذا يعاتب نفسه على التقصير، وهذا يتفكر في هول المصير، وهذا يخاف من ناقد بصير، منازل تعبدهم متناوحة، وفي كل بيت منهم نائحة»**

هذا غيض من فيض من صفاتهم.

عناق الراحة

يقول ابن الجوزي : **«كلما رأوْا مراكب الحياة تخطف في بحر العمر، شغلهم هول ما هم فيه، عن التنزه في عجائب البحر، فما كان الا قليل حتى قدموا من السفر، فاعتنقتهم الراحة»** ما أجمله من تشبيه لحياة الذين افنوا حياتهم بطاعة الله، وتعبوا في الدنيا فكانت الراحة بانتظارهم.

سم المعاصي

يقول ابن الجوزي : **«المعاصي سم، والقليل منه يقتل»** فلا يمكن لأي معصية الا ان يكون لها اثر على القلب والسلوك والإحساس، مهما قلت، فإذا ما اهملت وتزايدت غطت على

القلب بالران ففقد الاحساس، وسقط في المهالك، انه سم المعصية.

بائع الدرر

يقول ابن الجوزي: «**يامن باع الدرر، واشترى الخزف، ابسط بساط الحزن على رماد الأسف**›› **فرق شاسع بين ما أعد الله في الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال بشر، وبين زينة زائلة، ولكن الكثير يبيع هذا الدائم بالزائل، وسيندم عندما يكتشف الفرق في الآخرة.**

ارواح الهدى

يقول ابن الجوزي: «**نفخ في صور المواعظ، فدبت ارواح الهدى في موتى الهوى، فانشقت عنهم قبور الغفلة، وصاح إسرافيل الاعتبار** ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[(١)]».

هكذا يكون اثر الموعظة، خاصة عندما تخرج من قلب مخلص.

(١) البقرة: ٧٣

سفن العزم

يقول ابن الجوزي: «**ركبوا سفن العزم، فهبت لهم رياح العون، فقطعوا بالعلم لجج الجهل، فوصلوا الى اقليم ارض الفهم، فأرسلوا على ساحل بلد الوصل**» لن تكمل التوبة ويثبت صاحبها الا بالعزم والهمة العالية لطلب العلم وإزالة الجهل، وتوقد الفهم حتى يصل الى المراتب العليا ومحبة الله له ولذة الايمان التي لا تعدلها لذة.

القلوب الضائعة

بقول ابن الجوزي: «**يا أرباب القلوب الضائعة** ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(١)» فكم من الناس قد فقدت قلوبهم وأصبحت مطية لشياطين الانس والجن والأهواء، ضاعت في عشق اللذائذ الزائلة والصور الزائفة، ضاعت قلوبهم بعد ان عميت لكثرة الران التي تراكم عليها حتى دفنت فيه.

الدنيا غدارة

يقول ابن الجوزي: «**محبة الدنيا محنة، عيونها بابلية، كم**

(١) يوسف: ٨٧

تفتح باب بلية، ولا حيلة كحيلة، من عين كحيلة، كم أفردت من أردفت، كم اخمدت من خدمت، كم فللت من الفت، كم أفقرت من أرفقت، كم فارقت من رافقت» هذه هي الدنيا لن تدوم لاحد ولن تفي لأحد.

شواطئ انهار الصدق

يقول ابن الجوزي: «**انف القوم من مزاحمة الخلق في سوق الهوى، وقوي كرب شوقهم، فلم يحتملوا حصر الدنيا، فخرجوا الى فضاء العز في صحراء التقوى، وضربوا مخيم الجد في ساحة الهدى، وتخيروا شواطئ انهار الصدق، فشرعوا فيها، فسارع البكاء**» انها نفسية السالك لطريق الله.

ريح الاسحار

يقول ابن الجوزي: «**لو استنشقت ريح الاسحار لأفاق قلبك المخمور**» انها لحظات الصفاء، انها لحظات لا يستطيع عليها الا اصحاب الهمم العالية، والمجاهدات، وهؤلاء لا يشغل قلوبهم الا ما اعد الله لهم في الفردوس الأعلى، وينظرون لكل زينة في الدنيا من علو، فقلوبهم في إفاقة دائمة.

يا دنيئ الهمة

يقول ابن الجوزي : «**يَا دني الهمة، أعجبتك خضرَة على مزبلة ؟! فَكيف لَو رَأَيْت فردوس الْملك ؟؟**»

هذا هو حال معظم الناس، يغرهم ما يرون من متاع الدنيا، ويبيعون قيمهم ودينهم وإنسانيتهم من اجل ذلك المتاع القليل التافه فيخسرون ما اعد الله للطائعين في الجنة.

قنعت بمتاع زائل

يقول ابن الجوزي :«**قنعت بخسايس الحشايش، والرياض معشبة بَين يَديك، تقدم بالرياضة خطوَات، وَقد وصلت**» هذا هو حد اصحاب الهمم الدانئة، يقنعون بالدون من المتاع لان نفوسهم دانية، ولو انهم جاهدوا هذه النفوس الدانئة بالقليل من الهمة لكانت الجنة على خطوات منهم.

العبرة من تفاوت همم الحيوانات

يقول ابن الجوزي: «**الهمم تتفاوت في جميع الحيوانات :**

- **العنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً**
- **والحية تطلب ما حفره غيرها**

- والغراب يتبع الجيف
- والأسد لا يأكل البايت
- والكلب ينضنض لترمى له لقمة
- والفيل يتملق حتى يأكل
- للصيد كلاب، وللمدبغة كلاب، أين الأنفة؟
- النحل يغضب فيترضى من لجاج
- والخنفساء تطرد فتعود»

تعلم واعتبر

الدنيا مسرات مؤقتة

يستشهد ابن الجوزي بأبيات طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي

«هل الدهر الا ما عرفنا وادركنا　　فجائعه تبقى ولذاته تفنى

اذا أمكنت فيه مسرة ساعة　　تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا»

هذه هي حقيقة الدنيا، فلماذا نشتريها ونبيع الاخرة؟



قرب الرحيل والغفلة

يقول ابن الجوزي: «هذا الطائر اذا علم ان الأنثى قد حملت،

أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، أفتراك ما علمت قرب رحيلك الى القبر؟ فهلا بعثت لك فراش تقوى- ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[1]» نعم يعلمون ولكن غطى الران قلوبهم فأفقدهم الشعور.

الصبر والهوى

يقول ابن الجوزي : «**الصبر والهوى ضرتان، فاختر إحدى الضرتين، فما يمكن الجمع**» الضرتان هما الزوجتان لرجل واحد، ومعروف ما يحدث بين الضرتين من التنافر وعدم الوفاق، فالصبر من صفات اصحاب العزائم بينما الهوى صفة اصحاب الهمم الدانية، ولا يمكن ان يجتمعان.

أزل مسامير قلبك

يقول ابن الجوزي: «**يا هذا دبر دينك كما دبرت دنياك، لو علق بثوبك مسمار رجعت الى وراء لتخلصه، هذا مسمار الأضرار قد تشبث بقلبك، فلو عدت الى الندم خطوتين تخلصت**» فكم نحتاج للتوقف في مسيرة حياتنا لنتفحص

(١) الروم: ٤٤

مسامير نشبت في قلوبنا فتخلص منها قبل الرحيل.

غمائم الهوى

يقول ابن الجوزي: «**حالت غمائم الهوى بينكم وبين شمس الهدى، وغدا ما في يومكم ينسيكم غداً، حتى كأن الرحيل حديث خرافة، وكأن الزاد يفضل عن المسافة**» هذا هو حال معظم الناس، غيوم الأهواء وزينة الدنيا التي بين أيديهم أعمتهم عن قرب مصيرهم الحتمي.

سوق الجد

يقول ابن الجوزي: «**الطاعات رؤوس أموال، والمعاصي قطاع الطريق، والربح الجنة، والخسران النار، لهذا الخطب شمر المتقون عن سوق الجد**» انها سوق بالرغم من أهميتها وارتفاع ارباحها، الا ان المنشغلين فيها قليل، وينظر غالب الناس اليهم بانهم مجانين.

مراكب القلوب

يقول ابن الجوزي: «**مجلسنا بحر، والفكر غواص، يستخرج الدرر، ومراكب القلوب تسير الى بلد الوصل، وانت تقف على الساحل، وترى الفلك مواخر فيه، ان قعر جهنم**

لبعيد، ولكن همتك أسفل منه» هؤلاء الواقفون على الساحل يظنون بانهم هم الاذكياء الناجحون في الحياة وان راكبي مراكب القلوب هم السذج وسيعلمون غدا من هم الأغبياء السذج.

جواهر الرجال

يقول ابن الجوزي : **«الاختبار يظهر الرجال، بعثت بلقيس الى سليمان هدية لتسبر بها قدر همته، فان رأتها قاصرة علمت انها لا تصلح للمعاشرة، وان رأتها عالية، تطلب ما هو اعلى، تيقنت انه يصلح. يا هذا الدنيا هدية بلقيس، فهل تقبلها ؟ او تطلب ما هو انفس منها ؟»** كم منا ينتبه الى الاختبارات الربانية ؟ وكم منا ينجح فيها ؟؟.

نداء الموت

قال ابن الجوزي : **«لقد نادى الموت وقال : ما انا بالذي اذا سئل أقال، انا الذي اذا مال على القوي أمال، أخذتم أماني ؟ يا اهل الأماني والآمال، اين من كان في روح وسعة ؟ نقلته الى مكان ما وسعه»** تفكر ايها العاصي واعتبر بمن مضى فلن تكون في مأمن.

يقول ابن الجوزي : **«لقد نادى الموت وقال :**

- **اين من كان يخاف لبأسه؟ انظروا ماذا عوضته من لباسه،**
- **اين من كان على نسائه شديد الغيرة؟ اما رحل عنهن فاخترن غيره؟!**
- **اين من كان يسري آمناً في سربه؟ أما قيل للتلف خذه وسر به»**

تفكر ايها الغافل وتب قبل ان يدهمك الموت.

البرق اللامع

قال ابن الجوزي: «**هيهات ليس في البرق اللامع مستمتع لمن يخوض الظلمة**» فالبرق لا يلبث ان يزول سريعاً، ولا يعتمد عليه في السير في الظلمة، والدنيا ما هي الا برق لامع لا يلبث ان تزول، والعاقل من لا يهتم به أو يبني عليه الأماني.

أرق ذكر الموت

قال ابن الجوزي (قول ابو العتاهية:

إنّي أَرِقتُ وَذِكرُ المَوتِ أَرَّقَني وَقُلتُ لِلدَمعِ أَسعِدني فَأَسعِدني

يَا من يَمُوت فلم تحزنه ميتته وَمن يَمُوت فَمَا أولاه بالحزن

لـمن أثـمر أَمْوَالِي واجـمعـها   لمن أروح لمن أغدو لمن لمن

لمن سيرفع بِي نعشي ويتركني   فِي حفرتي ترب الْخَدين والذقن

قصة الهداية

قال ابن الجوزي :

«**إذا استصلح القدر ارض قلب،**

قلبها بمحراث الخوف،

وبذر فيها حب المحبة،

وأدار لها دولاب العين،

وأقام ناطور المراقبة،

فتربى زرع التقى على سوقه»

هكذا تتسلل الهداية للقلب العاصي.

تنكب النفوس

قال ابن الجوزي: «**يا نفس عند ذكر الصالحين تبكين، وعند شرح جدهم تأنين، واذا تصورت طيب عيشهم تحنين، فإذا عرفت قيامهم بالخدمة تنكبين**» هكذا هي طبيعة الكثير من

النفوس، حماسة عند سماع المواعظ لا تلبث ان تزول عند استلزام العمل، والمخرج هو استغلال هذا الإقبال بتوبة نصوح، ومحافظة على أجواء الإيمان المؤثرة.

الأعداء ثلاثة

يقول ابن الجوزي: «**الدنيا والشيطان خارجيان، خارجان عليك، خارجان عنك، والنفس عدو مباطن، ومن آداب الجهاد** ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾[1]

ليس من بارز بالمحاربة كمن كمن، مادامت النفس حية تسعى، فهي حية تسعى» كم ننشغل بأعداء اقل خطورة من هؤلاء الثلاثة، فنخسر بسبب هذه الغفلة.

قارب النجاة

قال ابن الجوزي: «**يامن قد لجج في لجة الهوى، قارب - بكسر الراء - الساحل في قارب**»

اي اُدنُ من الساحل الذي ينجيك من الغرق بقارب الإنقاذ، وهو حبل الله المتين.

(١) التوبة: ١٢٣

الربانيون

يصفهم ابن الجوزي فيقول : «**أملهم أقصر من فِتْر**[١]، **منازلهم أفقر من قبر، نومهم أعز من الوفاء، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر، أخبارهم أرق من نسيم السحر، آماقهم بالدموع الدائمة دامية، والهموم على الجوانح جوانح، لأنفسهم أنفاس من مثلها يهيج البهيج**» اصبح هؤلاء كالهباءة في الكون الفسيح.

توحيد الغضب لله وحده

يقول ابن الجوزي : «**لقى بعض الجند - الزاهد - ابراهيم بن ادهم في البرية، فقال له : أين العمران ؟ فأومأ بيده الى المقابر فضربه، فشج رأسه، فقيل له : هذا ابن ادهم، فرجع يعتذر اليه، فقال له ابراهيم : الراس الذي يحتاج الى اعتذارك تركته بلخ**[٢]» حيث كان اميراً في مدينة بلخ قبل ان يسلك طريق العلم والزهد.

---

(١) الفِتْر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهما .

(٢) بلخ مدينة الآن في أفغانستان كان ابن أدهم أميراً لها فتنازل عن الملك.

فطام النفس

يقول ابن الجوزي : «**من رق لبكاء الطفل لم يقدر على فطامه**»وهكذا هي النفس كالطفل اذا اشتهت محرما صاحت وألحت على صاحبها، فان رق لإلحاحها وصياحها وأعطاها ما ارادت، لن يتمكن من الارتقاء بها من الإمارة الى اللوامة، وسيكون أسيرا لها على الدوام.

أين المبارز ؟

يقول ابن الجوزي :

«**أما الطريق طويلة، وفيها المفاوز**

أما القبور قنطرة العبور، فمن المجاوز

أما يكفي في التنغيص حمل الجنايز ؟

أما العدو فمحارب، فهل من مبارز ؟»

روح المبارز لابد ان يستحضرها سالك طريق الحق ويتذكر طول الطريق، وكثرة الفتن والبلاء، فلا يستطيل الطريق ويستغرب الفتن.



الأوبة من سفر الهوى

قال ابن الجوزي : «**إب يَا شارد الطَّبْع من سفر الْهوى، وأذب جامد الدمع بنيران الأسى، لَعَلَّ شَفِيع الاعتراف يسئل فِي أَسِير الاقتراف**» ان الله يحب ان يرى دمعة التائب، لأنها دليل الندم للولوج في عالم الاستقامة.

ربيع الحياة

يقول ابن الجوزي : «**ازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة ارض شخصك، وادخر من وقت قدرتك لزمان عجزك، واعتبر رحيلك قبل رحيلك، مخافة الفقر في القبر**» لا يفقه هذا ويعمل به الا الاذكياء، اما الحمقى فيفنون شبابهم باللهو والغفلة حتى يعجزوا عن الاستدراك في خريف حياتهم.

طول الطريق

يقول ابن الجوزي : «**المحب لا يرى طول الطريق، انما يتلمح المقصد**».

ومن بايع الله لنصرة دينه يدخل عليه الشيطان، ويكاثر صور البلاء المتعددة أمامه، ويبطئ أمامه الفرج من هذا البلاء، ليوصله الى الملل واليأس من طول الطريق، لكنه كلما تذكر ما

أعده الله له من الجزاء هان عليه وزاد صبرا ً وثباتاً.

لحظة غفلة الصالحين

يخدع الشيطان بعض الصالحين بما لديهم من رصيد ايماني واعمال كثيرة بانهم اقوياء، ومحصنين ضد الوقوع بالمعصية، فيجرؤهم على الاقتراب من المعصية، فيقع في شيءٍ من المحذور، وربما وقع بالكامل اذ لم يتدارك، يقول ابن الجوزي محذراً : «**اياك ان تتعرض للهواء الوبيئ، مغتراً بصحة مزاجك، فانك ان سلمت من فضول الفتن من التلف، لن تأمن زكمة، ومتى تمكنت زكمة الهمة لم تشم الفضائل**».

كثيرون اغتروا بالتزامهم وتدينهم، وسول لهم الشيطان انهم بعيدون عن دائرة السقوط في دائرة المعاصي، فتساهلوا باليسير من (الشبهات) وشيئاً فشيئاً حتى سقطوا في حفرة المعصية، لذلك كان ابن الجوزي يحذر«**اياك ان تتعرض للهواء الوبيء، مغتراً بصحة مزاجك، فانك ان سلمت من فضول الفتن من التلف، لن تأمن زكمة**»،



هلال الهدى

هلال الهدى، والطريق المستقيم واضح بين، ولكن يحجبه

غيوم الغفلة، فاذا ما انتبه المتقون لتلك الغيوم، واستيقظوا من غفلتهم شاهدوا هلال الهدى واضحاً، يقول ابن الجوزي : **«لما انقشع غيم الغفلة عن عيون اهل اليقين، لاح لهم هلال الهدى في صحراء اليقظة».**



حطم القيود

العظماء في هذه الحياة هم من ادركوا بأن الفلاح مرتبط بتزكية النفس،و مجاهدتها على ما تتقوم به من تزيين المنكر وما يغضب الرب، وتحطيم قيود الشهوات الحرام التي وضعها ابليس، لذلك مدح الله هذه الفئة فقال ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[1]

يستشهد ابن الجوزي ببيت مهيار الديلمي :

قـم فانتشِطْها حسبُها أن تُعقَلا   ودَعْ لـهـا أيـديَـهـا والأرجُـلا

هؤلاء هم العظماء

المعصية ذل وطاعة الشيطان ذل

والاستسلام للهوى ذل

والالتزام بما تمليه النفس الامارة ذل

---

(١) الشمس: ٩

والعظمة في قرار تحطيم تلك القيود، والخروج من دائرة الذل، الى عز الطاعة لله، يقول الشاعر مهيار الديلمي :

لا يطرح الذل وراء ظهره　　الا فتى ينضي المطايا الذلل

ثورة على الذل والمهانة

العزة والمهانة ضدان لا يجتمعان، والناس قسمان، قسم اصابته المهانة والذل لمَّا يقترفه من معاص، فتعايش معها، ولا يريد تغييرها، وقسم آلمته مهانة وذل المعصية فثار عليها ونعم بعز الطاعة والتوبة، ينادي ابن الجوزي القسم الأول **«الى متى يقودكم الهوى ؟ الى متى تستعبدكم الدنيا»**.

لن يشعر بالراحة والسعادة والهناء الا الذين قرروا تغيير واقعهم الذليل المهين، بما يقترفون من معاص الفوها وتعايشوا معها، فقرروا ان يثوروا على واقعهم الذليل، لينعموا بعز الطاعة، يقول الشريف الرضي :

«كم اصطبار على ضيم ومنقصة　　وَكَمْ على الذّلّ إقرَارٌ وَإذْعانُ

ثوروا لها ولتهن فيها نفوسكم　　إن المناقب للأرواح أثمان»

لو تذكروا العقوبة لأقلعوا

لو يتذكر المقدم على المعاصي عقوبتها لما اقدم، ولكن نسيان العقوبة يجرؤهم، يقول ابن الجوزي: «**يا معشر الشباب، زيدوا في سلاسل الهوى، فان شيطان الهوى مارد، زنوا حلوى المشتهى، بمر العقاب يبن لكم التفاوت**».

لا تلغوا جهاز الانقاذ

السبب الرئيس باقتراف الخطأ او اية مخالفة شرعية، هو تعطل جهاز الانقاذ، وهو العقل، وذلك حينما ينغمس المخطئ في امواج الهوى، يقول ابن الجوزي: «**العقل ما ينسى، انما الحس مغفل، سبب النسيان امراض من التخليط في مطاعم الهوى**».

الاسواق الثلاثة

ما يمنع العاصي من الابصار، انه يقضي وقتا طويلا من عمره في سوق الشهوات وسوق الشبهات، ولو انه زار سوق الملمات لعدل عن اخطائه، يقول ابن الجوزي: «**ايها القائم على سوق الشهوات في سوق الشبهات، ناسيا سوق الملمات الى ساقي الممات، الى كم مع الخطأ؟؟ بالخطوات الى الخطيئات**».



التاجر الاحمق

الذي يقوم ببعض الطاعات في بعض المواسم، مكتفيا ببعض الراحة النفسية التي يجدها، ثم يغفل بقية العام، يتعجب من تصرفه ابن الجوزي فيقول:

«وَاعجَبا لتاجر يرضى بتعب شهر، ليتمتع بربحه سنة، فكيف لا يصبر ايام عمره القليلة ليلتذ بربحه ابداً؟!»



ثلاثة من التجار

في الدنيا ثلاثة انواع من التجار:

① ركز على كسب ارباح الدنيا فقط

② خلط بين الدنيا والاخرة

③ كرس حياته كلها لأرباح الآخرة.

يقول ابن الجوزي: **«يامن يروح ويغدو في طلب الارباح، ويحك اربح نفسك»** ما اعظمه من ربح يغفل عنه تجار الدنيا.



قنديل الحياة

حياة الانسان كالقنديل المضيء:

اما ان ينتهي زيته من الداخل فينطفئ

واما ان تطفؤوه نسمة هواء من الخارج،

فاحذر ان يطفئ نور الايمان معاصيك الظاهرة او الباطنة، يقول ابن الجوزي: «**كم يلبث قنديل الحياة؟ على عواصف الآفات، انفاس الحي خطاه الى اجله**».

تعب الوصول للقمة

من اراد القمة فعليه ان يهيئ نفسه للتعب واحتمال المشاق، وكما قال المتنبي:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم، فلا يحدث الكسول نفسه بالوصول ابداً

يقول ابن الجوزي: «**درجات الفضائل كثيرة المراقي، وفي الاقدام ضعف، وفي الزمان قصر، فمتى تنال الغاية؟**».

انتبه ايها التائب

من اراد الثبات فعليه بالحذر من شيطان يوسوس، ونفس تزين، وهوى يدعو، يقول ابن الجوزي: «**اذا لاحت للتائب نظرة لا تحل، فامتدت عين الهوى فزلزلت ارض التقى، ونهض**

معمار الايمان ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (١)

تحول السباخ الى رياض

المعاصي تحيل القلب الى سباخ منتنة، وخرائب مهجورة، وظلام دامس، فاذا ما ولج العلم والايمان حول السباخ الى رياض يقول ابن الجوزي: «**اذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب، بث جنده في بقاع البدن، فصارت السباخ رياضاً**».

زواج خاسر

جميع مفردات الكسل «**التواني، التسويف، التواكل، البطيء، الإهمال، وغيرها**» لا تنفع، وان اضفت واحداً على الاخر، او اضفت ثلاثاً او اربع كلها تؤدي الى نتائج سلبية، ورحم الله الامام ابن الجوزي الذي قال: «**تزوج التواني بالكسل فولد الخسران**».

صفات اصحاب الهمم

يذكر الامام ابن الجوزي بعض صفات اصحاب الهمم فيقول:

---

(١) النحل: ١٥

«صافحوا النجم على بعد المنال

واستطابوا القيظ من برد الظلال

واستذلوا الوعر من اخطارها

انما الاخطار اثمان المعالي»

فأصحاب الهمم العالية لا يوقفهم صعوبة الهدف ولا بعده، ولا الصعوبات في الطريق، بل هم يتلذذون بها، وتهون عليهم كلما تذكروا الهدف.

اياكم والعين

ارسال البصر دون مراقبة الله تعالى بالسر والعلن توصل الى الهلاك والخسارة دون شعور صاحبها، يقول ابن الجوزي: **«اكثر فساد القلب من تخليط العين، مادام باب العين موثقاً بالغض، فالقلب سليم من آفة، فاذا فتح الباب طار طائر، وربما لم يعد»**، فإنما يبدأ تعلق القلب بنظرة.

هل انت مستعد؟

يقول ابن الجوزي: **«آن الرحيل وما في مزادتك قطرة ماء، ولا في مزود عملك قبضة زاد»** المستعدون لا يخافون، اما المفرطون هم اكثر الناس خوفا من الرحيل.

ما هو السبب؟

قبل ان تلقي باللوم على الاخرين لكل ما يصيبك، ابحث عن موقعك من هذا الامر، فانت اهم الاسباب بما يحدث لك.

يقول ابن الجوزي: «**تنوي قيام الليل فتنام، وتحضر المجلس فلا تبكي، ثم تقول: ما السبب؟ قل هو من عند انفسكم**».

جيوش العزم

لا يمكن ان تزيل اي عيب او عادة سيئة فيك الا بعزيمة لا تتزعزع، اما ضعفاء العزيمة فيبقون في اسر ومذلة تلك العيوب، حتى يغادروا الحياة، لذلك قال ابن الجوزي: «**لو جهزت جيش عزم فر العدو**».

بادر قبل فوات الأوان

سارع وبادر واجري بأسرع ما تستطيع للتوبة قبل اغلاق بابها، لا ينفع بكاء ولا ندم بعد ذلك، يقول ابن الجوزي: «**بادر بالتوبة من هفواتك، قبل فواتك، فالمنايا بالنفوس فواتك**».



فجور عند الفجر

يتعجب ابن الجوزي ممن يلتزم في بدايات حياته ثم يفجر وينتكس عندما يكبر وينضج، فيقول: **«اعجب خلائق الخلائق محسن في شبابه، فلما لاح الفجر فجر»**. اللهم نسألك الثبات وحسن الخاتمة.

تحصن قبل هبوب العاصفة

العاقل هو من لا يعيش للحظته، بل هو المخطط لمستقبله، وهو الذي يعد الدواء قبل المرض، ويتحصن قبل هبوب العاصفة، يقول ابن الجوزي : **«مركب الحياة تجري في بحر البدن، برخاء الانفاس، ولا بد من عاصف قاصف تفككه وتغرق الركاب»**.

لن يخلد فيها احد

اياك والاغترار بصحتك وعافيتك وشبابك ومالك ومنصبك، فتنسى ما خلقت من اجله، فان ايامك معدودة، ولن يخلد فيها احد، يقول ابن الجوزي :

«يا من ايام عمره في حياته معدودة، وجسمه بعد مماته مع دودة».



اصبر على العسر

يقول ابن الجوزي :

«اصبر على العسر في الزمان فكم

عسر ويسر اتاك ثمت مر

والصبر اولى بكل من صحب العيش

ومن جرب الزمان صبر»

وما اجمل الصبر الجميل الخالي من الشكوى للمخلوق، فتحتسب كل ما يصيبك من غير شكوى.

ثوب حياتك انفاس

على نفس نسق موعظة الحسن البصري **«يا ابن ادم انما انت ايام فاذا ذهب يومك ذهب بعضك»** يقول ابن الجوزي: **«ثوب حياتك منسوج من طاقات انفاسك، والانفاس تسلب ذرات ذاتك»**.

فاين المتعض من هذه الموعظة البليغة ؟



صحائف الاعمار

توارد الافكار بين الأمام الحسن البصري والامام ابن الجوزي في التعبير عن العمر بانه ايام كما ذكر البصري، وما عبر عنها ابن الجوزي بانه صحائف، ذلك لانهما من نفس المدرسة الايمانية، يقول ابن الجوزي: «**الايام صحائف الاعمار، فخلدوها احسن الاعمال**».

قم وانتفض على واقعك المرير

اسرع وغير واقعك المرير، فربما لن تجد وقتا ينجيك مما انت فيه، يقول ابن الجوزي: «**ليل الصبا مرخي السدمة - الظلمة - وتجار الاماني تعقد دواخن الكسل، فانهض من حفش - البيت الحقير - الكسل**».

قد لا تتكرر الفرصة

كم من الفرص يتيحها ألله للإنسان كي يرجع اليه، والاذكياء والعقلاء وحدهم الذين يستغلون هذه الفرص فيرتقون في الدنيا والاخرة، يقول ابن الجوزي:

«**الفرص تمر مر السَّحَاب، والتواني من أَخْلَاق الْخَوَالِف**»

العقلاء يدركون بان فرص الدنيا قد لا تتكرر، فهم يسارعون الزمن لاغتنامها، واستغلالها للنجاح في الدنيا والاخرة، يستشهد ابن الجوزي بهذا البيت لتأكيد المعنى :

فاقضوا مآربكم عِجالاً إنّما أعمارُكم سفرٌ من الأسفارِ(١)

لو يدرك المضيع للفرص بان العمر يقل ولا يزيد، لكان اسرع الناس لاستغلالها، يقول ابن الجوزي: لهؤلاء«**العمر زاد في بادية، يؤخذ منه ولا يطرح فيه، يا من عمره يذوب ذوبان الثلج، توانيك ابرد**».

مركب العجز

لا يظن العاجز الكسول عن طلب المعالي، والاستقامة على الصراط المستقيم، انه سيسلم من التعب، وينعم بالراحة، بل هو بعجزه قد اختار التعب، يقول ابن الجوزي: «**من استوطأ مركب العجز عثر به**».

حقيقة الدنيا المنسية

كم من حقائق الدنيا نتعمد نسيانها، هذه احدها، كما

---

(١) شعر أبو الحسن علي التهامي.

اوردها الامام ابن الجوزي :

حكمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جار ما هذه الدُّنيا بدار قرارِ

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقذاءِ والأكدارِ[1]

اما آن لك ان تستيقظ ؟

كم من التحذيرات الربانية ارسلها الله لك لتعود اليه ؟!

تارة خسارة في تجارة، واخرى بمرض، واخرى بفقد عزيز، وغيرها كثير، وانت ما زلت نائما ؟ يناديك ابن الجوزي قائلاً : «**يا بعيد التيقظ والموت منه قريب، يامن هو عما قليل في القبور غريب**».

العزيمة سر الثبات

لا يمكن ان تنجح توبة من غير عزيمة،

ولا يمكن ان يتم الثبات من غير عزيمة،

انها سر الثبات الى الممات اذا قرنت بصدق التوبة، يقول ابن الجوزي :

«**متى صدقت توبة التائب، بنى بيت التعبد بصخور العزائم**»

---

(١) شعر أبو الحسن علي التهامي

شروق اكيد

المؤمن الحق لا يقلق بشأن ما يصاب به من بلاء، لان في جعبته آيات واحاديث تبشره بحتمية رفع البلاء ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ﴾[1] «اليس الصبح بقريب؟» يقول ابن الجوزي: «**البلاء ظلمة غبش، و يا سرعة طلوع الفجر**».

صبابة اليقظة

يضعف ويفتر المؤمن احيانا، ويقترب من الهاوية حيناً آخر، عندما تغلب نفسه الامارة وهواه عقله، ولابد من استدراك سريع يعيده الى المسار الصحيح، يقول ابن الجوزي: «**يامن قد غلبته نفسه،**

وبطش بعقله حسه،

استدرك صبابة اليقظة،

وصِح في سمع قلبك بموعظة»

يقول تعالى واصفاً أصحاب اليقظة حينما يقعون بالخطأ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ

(١) هود: ٨١

فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ (١)



هل انت عبد للشيطان ؟

سؤال غريب ؟

ذلك ان عبد الشيطان هو من ينسى اوامر الله، ويسخر جوارحه كلها في خدمة الشيطان واوامره، فيفقد (الملك) لجوارحه، يقول ابن الجوزي :

«عينك قد استرقها المنظور،

ولسانك يتصرف فيه اللغو،

ويدك يحركها الزلل،

وخطا اقدامك الى الخطأ،

ثم أ سكنت الهوى قلبك،

فأين يكون الملك ؟؟»

لا عذر لمثل هذا النسيان

كيف تنسى ربك واوامره، وكل ذرة فيك تذكرك فيه ؟؟ يقول

---

(١) آل عمران: ١٣٥

ابن الجوزي :

«ويحك ان الانسان يشد في اصبعه خيطاً يتذكر به حاجته، وهل في جسدك عرق او شعرة الا وهي تذكر بالخالق ؟ فما وجه هذا النسيان البارد ؟».

سارع قبل ان تسلب العافية

اذا كنت الان بكامل صحتك، وما زلت كسولاً بأداء الطاعات، فلربما ستسلب هذه الصحة يوماً فتتمنى لو عادت اليك لتؤدي ما كان عليك، يقول ابن الجوزي :

«يا متقاعداً عن اوامر الرب، احذر ان يُقعدُك عن نهضتك تزمّن – مرض –»

المجتهدون للدنيا

كم نبذل من الجهود لتحصيل متع الدنيا، غدواً ورواحا، حتى يبلغ هذا الجهد بالبعض الا يجد وقتاً كافيا للنوم او الطعام، ليته بذل القليل من هذا الجهد للأخرة، يقول ابن الجوزي :**«يا مجتهداً في طلب الدنيا، اجعل عشر اجتهادك للأخرى»**.



جوارحك اقرب القاتلين لك

نعم فهذه الجوارح «**السمع والبصر واللسان**» اذا لم تستخدمهم في المكان الصحيح يكونون سببا في هلاكك، يقول ابن الجوزي :

«يا مطلقاً طرفه لقد عقلك،

يا مرسلاً سبع فمه لقد اكلك،

يا مشغولاً بالهوى، مهلاً قتلك،

بادر رمقك فقد ومقك».

سهام البصر السامة

من ارسل بصره الى ما حرمه الله عليه، فلا شك ان السهم سيرتد اليه ويرديه، لذلك قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾[1] ويقول ابن الجوزي :

«عيناي أعانتا على سفك دمي

يا لذة لحظة أطالت ألمي»

---

(١) النور: ٣٠

القصير والبصير والبعيد

العمر اقصر ان تتمادى فيه بالآمال، وتغفل عمن يراقب عملك، وتغفل عن زاد رحلتك في الدنيا، يقول ابن الجوزي:

«مزق أملك فالعمر قصير،

حقق عملك فالناقد بصير،

زد زاد سفرك فالطريق بعيد»

سلوا عنهم الليل

انهم فئة من المؤمنين تكمن لذتهم عندما ينفردون بالليل مع خالقهم، يقول عنهم ابن الجوزي: **«اذا سمعوا ناطقاً يهتف بذكر الحبيب اخذ جزر الدمع في المد،**

من اقلقه الخوف كيف يسكن؟

من انطقه الحب كيف يسكت؟

من آلمه البعد كيف يصبر؟

سل عنهم الليل فعنده الخبر»

البلاء ضيف

قد يتعجب البعض لهذا العنوان، فكيف يكون ضيفاً يستحق الاكرام ونحن نجد منه الالام والهموم والغموم؟ ذلك لأنه اختبار فأما ان ترضى به وتصبر، واما ان تسخط وتعترض على القدر، يقول ابن الجوزي «**البلايا ضيوف، فأحسن قراها، لترحل عنك الى بلد الجزاء، مادحة لا قادحة**»

كثيرون يتساقطون في اختبار (البلاء) فيسبون القدر، ويسخطون ويغضبون، ويعترضون على قضائه، والقليل من يتعامل معه فعلاً كانه ضيف فيقوم بإكرامه بالرضا والتسليم والحمد والدعاء، فينجحون في الاختبار، لذلك قال ابن الجوزي «**البلايا ضيوف فأحسن قراها**».

المحتجون والمتسخطون لأقدار الله، والشاكون للخلق لما ألمّ بهم، يجرحون دينهم، ويغضبون ربهم، وكأنهم يتهمون الرب بعدم العدل، فيخسرون من حيث لا يشعرون، يقول ابن الجوزي:

«**من حك بأظفار شكواه جلد عيشه، أدمى دينه**».



إياك والتغافل عن عقلك

العقل هو المصفى للأقوال والافعال، والعقل نعمة الله للإنسان للتوصل للحق، والضار من النافع، فإياك والاعتماد على الاحساس او الهوى دون العقل،

يقول ابن الجوزي :

«العقل نور والحس ظلمة،

الحس أعشى، والعقل عين الهدهد،

الحس طفل والعقل بالغ،

العقل يدخل في المضائق والحس ابله».

لا تصفو الدنيا ابداً

قضى الله الا تكون لذائذ الدنيا صافية من غير كدر، حتى يريه حقيقة الدنيا، حيث لا تصل فيها الى لذة الا بعد تعب، واذا وصلت وجدتها ناقصة، ومخلوطة بكدر، فاللذة الصافية من الاكدار لن تجدها الا في الجنة، يقول ابن الجوزي : «**كل صاف من الدنيا مقرون بكدر**».



تقليب القلوب

سُمي القلب قلباً لكثرة تقلبه، لذلك جاء في الحديث الصحيح «**مَثلُ القلبِ مَثلُ الرِّيشةِ، تُقلِّبُها الرِّياحُ بِفَلاةٍ**»[(١)] وبسبب كثرة تقلبه مطلوب من المؤمن الانتباه والحذر من كل فتنة تكون سبباً في انقلابه لزمرة اهل النار، يقول ابن الجوزي : «**من عرف تقليب القلوب كيف يأمن**».

آثار الطاعات على الوجوه

يتحدث ابن الجوزي عن اثار الطاعات على وجوه الطائعين فيقول :«**ان لم تكن مع القوم في السفر، تلمح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ترى صحائف الوجوه، عطور القبول بمداد الانوار، وجوه زهاها الحسن ان تتبرقعا**».

آثار الطاعات تفضحهم

يبالغ الزهاد في اخفاء حالهم مع الله، وعبادتهم وتقربهم اليه، خوفاً من شبهة النفاق، ولكن آثار عبادتهم وزهدهم

---

(١) رواه ابن ماجه ٨٨ وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٥٨٣٣)

تطفح على وجوههم فتفضخهم، يقول ابن الجوزي : «**كيف يخفي الليل بدراً طالعاً، كم بالغوا في كتم الحال، وستر الحب محال**».

اشتروا انفسكم

الشراء يعني التملك، والتحكم بما تملك، وحرية وضع ذلك الملك في المكان الذي تريد، والنفس التي صرعها الهوى احق ان تشترى، لتعزل عن المعاصي، لذلك نادى ابن الجوزي : «**اشتروا نفوسكم عَن الذُّنُوب تشتروا لَهَا السنادس**».

آه لو تذكرتم

- آه لو تذكر الانسان لمصيره،
- آه لو تذكر الانسان خاتمته،
- آه لو تذكر الانسان استحالة خلوده،
- آه لو تذكر الانسان ان نهايته اية لحظه،

■ لما اقدم على معصية،

يقول ابن الجوزي :

«**لو ذكرتم انكم تُبادون،**

ما كُنتُم بالمعاصي تبادون».



مستشفى العقل

الاخلاق السيئة كأنها مخلوقات خطرة قد تدمر الانسان في اية لحظة، لذلك وجب عليه الانتباه، يقول ابن الجوزي: «**الحرص والشره والغضب والعجب والكبر، كلهم مجانين في مارستان**[1]**، العقل، وهو القيم عليهم، فليحذر الغفلة عنهم**».

اطفال القلوب

- المرضعات انواع:
  - مرضعة مختصة بولدها فقط
  - مرضعة ترضع طفلها وطفل آخر
  - ومرصعة ترضع للعديد من الاطفال

والاخيرة تسمى (مرضعة مخلطة) والهوى يشبه هذه المرضعة، لذلك يقول ابن الجوزي: «**الهوى مرضع كثير التخليط، فلهذا طفل قلبك كثير المرض، عجل فطامه وقد صح**» وذلك بتوبة نصوح.

---

(١) مارستان أي المستشفى.



عدد الانفاس

خلق الله الانسان لغاية محددة (العبادة) وحدد له عمراً يتحرك فيه لتحقيق هذه الغاية، ولم يخبره بمدة هذا العمر، فانقسم الناس الى فريقين،

- فريق استغل كل نفس لتحقيق الغاية،
- وفريق ضيع الاوقات للانشغال بلذة مؤقتة زائلة،

يقول ابن الجوزي: «**كيف يهوى امرؤ لذاذة ايام عليه الانفاس فيها تُعد**».

صرخة الى القلوب

القلوب الغافلة تحتاج الى هزة عنيفة وصرخة مدوية، كيف تصحو من غفلتها، وتعود الى الجادة، بعد ان تمادت بالابتعاد، يقول ابن الجوزي:

«ردد نظر فكرك، فالحساب شديد،

صح بالقلب لعله يرعوي،

سلمه الى الرائض، عساه يستوي»

سهر ضائع

عندما قال تعالى ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[١] فإنه يعني اولئك الذين يسهرون ولكن لأجل قيام الليل، ومناجاة الرحمن في الثلث الاخير، ولكن قوماً يسهرون من اجل المعاصي، او المباح الذي لا طائل من ورائه، لذلك قال ابن الجوزي عنهم: «**سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير وصلك باطل**».

مصابرة في طريق البلاء

البلاء بشتى انواعه لا يحتاج الى صبر فحسب، بل الى مصابرة، فالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهى حاله في الصبر مع خصمه، فكأنما البلاء رفيق درب، لطول امده، فلا بد من احتماله، يقول ابن الجوزي: «**لابد في سلوك الطريق من مصابرة رفيق البلاء، وله خلق صعب، فاصبر على مداراته**».

(١) الذاريات: ١٧

علم (الربانية)

الربّانيّ هو العارف بالله عزّ وجلّ، والمنسوب إليه، والقريب منه، و المملوء قلبه بالإيمان، وهو علم لا يفهم بالقراءة والدرس، بل بتصحيح النية والعمل، لذلك قال ابن الجوزي: **«هيهات، لا يُدرك علم الربانية، الا من ربى نية»**.

حاسبها قبل ان تُحاسَب

كم نقترف من المعاصي ونتوب منها ثم نعود، ألا من عاقل يختلي بنفسه ويجري مراجعة كاملة بما اقترفته يداه، قبل ان يحال بينه وبين ذلك، يقول ابن الجوزي:

«يا هذا اخل بنفسك في بيت الفكر، واعذلها في الهوى، فان لم تكن فاخرج بها على عسكر المقابر» فلعلها ترعوى.

لحظة الوقوع في الفخ

كم نقع في فخاخ الدنيا، ثم ننجو ثم نقع ثانية وثالثة ورابعة، وقد لا ننجو منها حتى الرحيل، يقول ابن الجوزي:

«آه لنفوس بغرور هذه الدنيا يخدعن

فاذا فاتهن شيء من فانٍ توجعن

شربن من ماء الغفلة وتجرعن

فلما بانت حبة الفخ أسرعن

فما انجلت ساعة التفريط حتى وقعن»

صلاة تليق بمعبودك

عُباد البقر والشمس والاصنام تراهم يتذللون لمعبودهم، ويبكون بين يديه، ويرجون نفعه، ويخشون غضبه، وكثير من المسلمين ينقر صلاته كنقر الغراب، دون خضوع او طمأنينة او خشوع، يقول ابن الجوزي «**إما ان تصلي صلاةً تليق بمعبودك، او تتخذ معبوداً يليق بصلاتك**».

مهر الجنة

روى الترمذي بأسناد حسن قول النبي ﷺ: «**من خاف أدلجَ ومَن أدلج بلغ المنزلَ ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ**» [١] فشراء الجنة لا يتم بصلاة لصاحب قلب غائب.

يقول ابن الجوزي: «**يا واقفاً في صلاته بجسده، والقلب غائب، ما يصلح ما بذلته من التعبد مهراً للجنة، فكيف بثمن الجنة؟**».

---

(١) رواه الترمذي ٢٤٥٠ وصححه الألباني (ص ج ص ٦٢٢٢).



قلوب مشغولة بالله

صاحب القلب المشغول بالله لا يشغله صخب الدنيا، ولا يعير لزخارفها بالاً، لأنه دائما يستحضر ان ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰ﴾[1] يروي ابن الجوزي عن التابعي الجليل الفقيه الزاهد **«مسلم بن يسار اذا دخل منزله سكت اهل بيته، فاذا قام يصلي تكلموا وضحكوا، علماً منهم ان قلبه مشغول»**. فقد انفصل عما حوله، وتعلق قلبه بمن وقف أمامه.

حياتك انفاس

حقيقة لا يحب الكثير من الناس تذكرها، حقيقة ان كل نفس تستنشقه ينقص من حياتك، يقول ابن الجوزي :

«حياتك انفاس تعد فكلما

مضى نفَسُ منها انتقصت به جزءاً

فتصبح في نقص وتمشي بمثله

أمالك معقول تحس به رزءاً».

(١) الشورى : ٣٦



ثوب ايمانك مخروق

لو اصاب ثوبك خرق يسير لانتبهت، ولربما استحيت مما فيه امام الناس، الا ترى الخروق في ثوب ايمانك؟ ألا تحس؟ يقول ابن الجوزي:

«كم اسرعت فيما يؤذي دينك ودأبت؟

كم خرقت ثوب ايمانك؟ وما رأيت

كم فاتك من خير وما اكتأبت؟»

عشاق الليل

لعشاق الليل حال لا يعلمه الا ربهم، فلو فات احدهم ليلة لم يقم فيها، لأصبح حزينا سائر اليوم، لما كان يجده من لذة لا تعدلها لذة من لذائذ الدنيا، يقول ابن الجوزي عن حالهم:

«حادي العزم يقول في انشاده؛

يا رجال الليل جِدوا، الى ان نمّ النسيم بالفجر، فقام الصارخ ينعى الظلام، فلما هم الليل بالرحيل تشبثوا بذيل السحر».

هكذا تكون تربية النفوس

الاصل في النفس انها «**امارة بالسوء**» ولكن المؤمن يربيها ويزكيها ويروضها حتى يسلس قيادها فتتحول الى لوامة ثم الى مطمئنة، يقول ابن الجوزي :

«**يقول أحد الصالحين : ما زلت اسوق نفسي الى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك**» وصدق الله بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا ۝١٠﴾(١)

ادرك نفسك قبل الغرق

يصف ابن الجوزي علامات غير الموفق «**يامن انفاسه عليه معدودة، وابواب التقى في وجهه مسدودة، واعماله بالرياء والنفاق مردودة، غير ان محبة التفريط معه مولودة**» فمن كانت فيه هذه العلامات فليبادر بإنقاذ نفسه قبل الهلاك.

يا ملاذ العارفين

عندما يخطئ العارفون الخائفون المتقون، فان نفوسهم اللوامة تشتد عليهم، وتخفق قلوبهم خوفاً، وتنهمر الدموع

---

(١) الشمس: ٩- ١٠

رجاءً، وتنطلق السنتهم كما عبر عنهم ابن الجوزي قائلين :

«يا ملاذ العارفين، يا معاذ الخائفين، خذ بيد من قد زلت قدم فطنته في مزلق فتنة»

لا تنسى ان مولاك يراك

كم نقترف من المعاصي والآثام والكبائر والموبقات وننسى ان الله يرانا، وملائكته تدون خطايانا، بينما ننتبه لكل خطأ من غيرنا، يقول ابن الجوزي :

«ان لاح اثم اخوك عبته، وان لاحى سببته، يا عقرب الاذى كم لدغت؟ كم لسبت؟

تعلم ان مولاك يراك وما تأدبت».

هواية تجميع الخطايا

قد يتعجب البعض من هذا العنوان،

نعم فالكثير من الناس هذه هي هوايتهم المفضلة، فمنذ الصباح الباكر يبدؤون بالتجميع، ولهذا ينسفون كل حسنات كانت لديهم، يقول ابن الجوزي :

«يا كاسب الخطايا بئس ما كسبت،

جمعت جملة من حسناتك، ثم اغتبت،

وحِصن دينك ثلمت، وانت الذي بدوت ما حلبت».

بماذا يذكرك المهد ؟

العاقل الفطن هو من يربط مناظر الدنيا بمناظر الاخرة، فهذه اهم صفات المؤمن (الرباني) فكما تذكرنا نار الدنيا بنار الاخرة، وثمار الدنيا بثمار الجنة ونعيمها، كذلك مهد الطفل يذكرنا بقضية مهمة، يقول ابن الجوزي : «**مهد الطفل عنوان اللحد**».

ارتداد السهم على الرامي

في الحياة الواقعية فانه لا يمكن ان ترتد الرصاصة على مطلقها، ولا السهم على راميه، الا في حالة واحدة، انه اذا قصد برصاصته او سهمه ما حُرم عليه اصابته، فإنها ترتد عليه، ولو بعد حين، فإياك ان ترسل بصرك الى ما حرم عليك، يقول ابن الجوزي : «**اطلاق البصر سيف يقع في الضارب**».

اتعظوا بحوادث الدهر

ما الدنيا الا مجموعة من الاحداث والحوادث، والعقلاء

الاذكياء هم وحدهم من يستخرجون العبر والدروس من هذه الحوادث، فيتجنبون الكثير من الاخطار، اما المغفلين فيتخذون حوادث الدنيا قصصا يًقضون بها الاوقات ويسمرون،

يقول ابن الجوزي : «**عجائب الدهر تغني عن وعظ كل واعظ**».

الاماني قمار

قال القرطبيّ: «الأمل: الحرص على الدّنيا والانكباب عليها، والحبّ لها والإعراض عن الآخرة... أمّا طول الأمل: فهو الاستمرار في الحرص على الدّنيا ومداومة الانكباب عليها مع كثرة الإعراض عن الآخرة»[(١)] فلا بأس ان نحلم ونأمل، ولكن الاغراق في هذه الاماني مع الاعراض عن الاخرة هي الكارثة.

يقول ابن الجوزي : «**يا من لمع له سراب الامل، فبدل ماء الاحتياط، اتراك ما علمت ان الاماني قمار؟**».

جميل ان يخطط الانسان لدنياه، ويحلم بالإنجازات الدنيوية، ولكن المصيبة ان يستغرق ذلك كل حياته، فاذا

(١) القرطبي ٣٨٩/ ١٢

جاءت لحظة المغادرة لم يجد شيئا يقربه من الجنة ويبعده من النار، لقد ظن ان الاماني ماء فاذا بها سراب.

متى نجد لذة العبادة ؟

كثيرون يسالون هذا السؤال، ولو انهم صبروا قليلا، واستمروا في تقربهم من ربهم دون ملل او انقطاع، سيجدون هذه اللذة، يقول ابن الجوزي : «**يامن يتعبد بالتعبد، ولا يجد له لذة، انت بعد في سواد البلد، اخرج الى البادية، تجد نسيم نجد الاعتبار عندنا**».

ابحث عن قلبك

كثيرون يصلون بأجسادهم وليس بقلوبهم، فلا يصحو حتى يسمع التسليم، ولو انهم طهروا قلوبهم من ادران المعاصي لخشعت في الصلاة، يقول ابن الجوزي : «**ايها المصلي، طهر سرك قبل الطهور، وفتش على قلبك الضائع قبل الشروع**».

حضور القلب

عند بداية الهداية، بعد طريق مليء بالغواية، والاتجاه الى واحة الايمان، لا مثبت بعد الله الا العمل الصالح المستمر،

يقول ابن الجوزي : «**حضور القلب اول منزل، فاذا نزلته انتقلت الى بادية العمل، فاذا انتقلت عنها، انخت بباب المناخي**».

أبكار المعاني

البكر هي المرأة التي لم تتزوج ولم تمس، والبكر هي الاوائل من الامور، فهي الجميل الجديد الطاهر الفتي، وعندما يخلو المرء مع ربه، وينقي قلبه، ويستحضر ما يتلوه من القرآن يفتح الله علبه كنوز المعاني، يقول ابن الجوزي : «**ادخل دار الخلوة لمن تناجي، واحضر قلبك لفهم ما تتلو، ففي خلوات التلاوة تزف ابكار المعاني**».

النائمون في لهوهم

ايها اللاهي عما خلقك الله من اجله هل اخذت ضمانا من خالقك انك خالد ؟

هل تظن ان هذه الحواس التي تملكها ستستمر بالعمل ؟

هل تظن ان ما انت عليه من النعم سيدوم ؟

يقول ابن الجوزي: «**يا نائما في لهوه، وما نام الحافظ،**

لاحظ نور الهدى، فلا حظ الا للاحظ، ولا تغتر ببرد العيش فزمان الحساب قائظ» ولكن اين الملاحظ ؟

سعادة التفكر

آيات كثيرة تحث على التفكر والتأمل، منها قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[١]

والمتفكر يحرك عقله فتزداد معرفته بربه، فينتج عن ذلك زيادة بالإيمان واليقين والحب والسعادة التي لا تضاهيها سعادة، يقول ابن الجوزي : «**تا الله لقد سَعِد من تفكر**».

اصبروا وصابروا

عكس الصبر(الجزع والاضطراب) وهي امور تصيب الانسان بالكثير من الامراض النفسية والجسدية، وسببها عدم الصبر والاحتساب فيما عند الله، ونسيان الاجر المترتب على الصبر عند البلاء، لذلك قال ابن الجوزي : «**سلم من الاذى من تصبر**» والتصبر يختلف عن الصبر في ان صاحبه يجد مشقة وتعب ويجاهد نفسه في ترك المعصية او منعها من الجزع عند المصيبة.

(١) ق : ٦

اين عقلك ؟ 

العقل هو الجهاز الذي خلقه الله للإنسان ليعلم من خلاله الصواب من الخطأ والضار من النافع، فاذا كان من الحقائق ان الدنيا فانية والاخرة هي الباقية، والله يقول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1] فكيف تختار الفانية وتترك الباقية، وتنشغل في حياتك كلها للسعي على الفانية، وتنسى التحضير للباقية، فأين عقلك؟ يقول ابن الجوزي: «**تؤثر ما يفنى على ما يبقى، ما اصبت**».

يكذبون في توبتهم

كم من الناس يعلنون توبتهم فما ان يروا المعصية حتى تتوق أنفسهم اليها فينتكسون، وكم من الناس يعاهد ربه بترك المعصية وما يلبث ان يتراجع، وكم من يتوب في الصباح ويعود للمعصية بالمساء، لو كان صادقا ما انتكس، ولكنه الكذب بالتوبة، يقول ابن الجوزي: «**تصبح تائباً فاذا امسيت كذبت**».

---

(١) الشورى: ٣٦

سربال الدنيا

كم من النعم تتناقص لدينا او تزول فنحزن، ولا نعلم انه خير كبير لنا لو تفكرنا في لحظة صفاء، فقد تكون انتكاستنا وسقوطنا عند كثرتها، يقول ابن الجوزي: «**اذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص، فاعلم انه قد لطف بك، لان المنعم لم يقلصه عليك بخلاً ان يتمزق، لكن رفقاً بالماشي ان يتعثر**».

تحصيل المعالي

ايها الكسول اتحسب انك ستصل الى المعالي وانت غارق بين وسائد توانيك وزرابي تسويفك؟

او ما علمت ان الذين وصلوا هجروا الوسائد والفرش، وتعبوا وجاهدوا وصبروا حتى وصلوا، والله لن تنال المعالي بالأحلام، يقول ابن الجوزي : «**اتحسب تحصيل المعالي سهلاً؟ نيل سهيل اسهل**».

اكتشاف الكنوز

يذكر الله تعالى في مواضع كثيرة بان موضع العقل هو القلب، وليس المخ، منها قوله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ

قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾[١] لذلك فهو اعظم ما خلق الله لك، لأنه يدلك على الحق والصواب، يقول ابن الجوزي: «**القلب جوهر في معدن البدن، فاكشف عنه بمعول المجاهدة، ولا تطينه بتراب الغفلة**».

صخرة الهوى

لا يوقف شلال الايمان وتدفق العمل الصالح عند المؤمن الا (الهوى) الذي يعمي صاحبه لفترة تطول او تقصر، بحسب قوة الانتباه وبذل المجهود لرفع صخرة الهوى، يقول ابن الجوزي: «**رميت صخرة الهوى على ينبوع الفطنة، فاحتبس الماء، انقب تحتها ان لم تطق رفعها، لعل الجرف ينهار**».

دعاء لمن وقعوا في حفرة الهوى

يدعو الامام ابن الجوزي لمن وقعوا في حفرة الهوى، وعجزوا عن الخروج:

«**اللهم ارفق بمرضى الهوى في مارستان - المستشفى - البلاء**
وافتح مسامع الافهام لقبول ما ينفع

(١) الحج: ٤٦

وسلم سيارة الافكار من قاطع طريق» .

دعاء للثابتين على الطريق

يدعو الامام ابن الجوزي للثابتين على الصراط المستقيم :

«اللهم احرس طلائع المجاهدة من خديعة كمين،

واحفظ شجعان العزائم من شر هزيمة،

ووقع على قصص الانابة بقلم العفو».

حوار بين دودة القز والعنكبوت

يقول ابن الجوزي :

«لما اخذ دود القز ينسج اقبلت العنكبوت تتشبه

قالت : لك نسج ولي نسج

فقالت دودة القز : ولكن نسجي أردية للملوك، ونسجك شبكة للذباب، وعند لمس النسيجين يبين الفرق» كذلك هو الفرق بين الحق والباطل والاخلاص والنفاق.

حوار بين الصنوبر والأقطين

يقول ابن الجوزي: **«شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة،**

وشجرة الدباء تصعد في اسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر : ان الطريق التي قطعتيها في ثلاثين سنة، قد قطعتها في اسبوعين، فيقال لي شجرة ولك شجرة،

فتجيبها : مهلاً الى ان تهب ريح الخريف».

كذلك هو الفرق بين كلمة الخير وكلمة الشر، وبين اصحاب الحق واصحاب الباطل.

ضياع الرجولة

كم من الذكور بأثواب الرجال؟ لا شك بان الرجل يختلف عن الذكر، فالرجولة تعني القوة والتحمل والمبادرة والاقدام، لذلك جاءت في القران بهذه المعاني، فقال تعالى ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[1] وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[2] يقول ابن الجوزي: **«عجباً للأجسام ذكور وعقول اناث».**

(١) يس: ٢٠

(٢) النور: ٣٦ - ٣٧



مواكب الهوى

جمع كثير من الناس يقضون حياتهم كلها بالجري وراء اهوائهم، تقودهم تلك الاهواء كالشياه، و تكويهم بنارها ويتحملون من اجل شهواتهم، وما زالوا يجرون ويجرون، ولا يجنون الا السراب، واستنشاق ذلك الغبار في اعقاب مواكب الهوى، يقول ابن الجوزي : «**ويحك الى كم تعدو خلف موكب الهوى ؟ وما تربح الا الغبار**»

صنم الانشغال

صنم من نوع عجيب يسمى (الانشغال) يعبده عدد كبير من البشر، فكلما دعوت احدهم لأمر من امور الاخرة، للصلاة في المسجد، لحضور درس، للذهاب الى حج او عمرة، لصلة ارحام، قال لك (مشغول) وهل يوجد من اهل القبور من غادر من غير شغل ؟؟

يقول ابن الجوزي: «**يا مقيداً عن السير بقيود الشواغل، أيطمع في لحاق الطير مقصوص القوادم؟**»

هل تود ان تكون منهم ؟

● **من هم احباب الله ؟**

سؤال يتوق لإجابته الكثير الكثير، ولا شك ان لهؤلاء صفات ذكرت في الكثير من الآيات والاحاديث، ولكن الليل له سجله الخاص الذي قيد به الكثير من احباب الله، بعد ان خلوا فيه يتعبدون ربهم، ولكنه سترهم بظلمته، لذلك يقول ابن الجوزي : «**سل الليل عن الاحباب، فعنده الخبر**».

عندما يخلو الفكر

عندما تنقطع الشواغل، وتخلو لوحدك مع كتاب الله، وتتأمل الآيات، وتغوص في معانيها، تنفصل عن الواقع الذي انت فيه وتحلق بعيداً، مشتاقاً الى خالقك وما وعدك من الجنان، يقول ابن الجوزي : «**خلا الفكر بالقلب في بيت التلاوة، فجرت اوصاف الحبيب، فنهض قلق الشوق يضرب بطون الرواحل**».

حقيقة الزهد

اختلف الكثير في معنى الزهد، لذلك فهم الكثير الزهد فهماً

خاطئاً، وظن بعضهم ان الزهد هو تحريم بعض زينة الدنيا، وآخرون ظنوا بان الزهد لبس المخرق او البالي من الثياب، ولبس السبح الطويلة في الاعناق، ونسوا ان الزهد في القلوب وليس في الثياب، وفي الباطن وليس في الظاهر، لذلك رد عليهم ابن الجوزي فقال : «**كان الزهد في بواطن القلوب، فصار في ظواهر الثياب**».

من دعاء الصالحين

يذكر الامام ابن الجوزي احد ادعية الصالحين فيقول :

«**الهي لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك**

ولا تخرس لساناً كل ما يروي عنك،

ولا تقذ بصراً طالما يبكي لك،

ولا تخيب رجاءً هو منوط بك»

ومن دعاء الصالحين الذي ينقله الامام ابن الجوزي قوله :

«**الهي ضع في ضعفي قوة منك،**

ودع في كفي، كفي عن غيرك،

وارحم عبرة ترقرق على ما فاتها منك»

معانٍ عميقة في الاخلاص

مهما تعب المرائي وجمع من الاعمال، وسعى وغدى ليل نهار، فانه لا وزن ولا قيمة لأعماله عند الله، وجميعه عند الله هباء، كما قال تعالى عنه ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[١] لذلك يقول ابن الجوزي : «**اذا لم تخلص لا تتعب**».

اعمال المرائي يراها الناس كبيرة جميلة مزخرفة، ولكنها وعاء لا يوجد بداخله شيء، وصدفة خالية من اللآلئ، وشجرة عظيمة خالية من الثمار، او كما وصفها الامام ابن الجوزي «**عمل المرائي بصلة كلها قشور**».

المرائي لا فائدة من عمله الا التعب، يرهق نفسه من غير فائدة حقيقية تعود عليه، وكأنما يحفر في البحر، او من بنى قصرا على مزبلة، او من اراد نقل ماء البحر بملعقة، او كما وصفه الامام ابن الجوزي «**المرائي يحثو جراب العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه**».

---

(١) النور: ٢٣

سبحان الله فمهما حاول المرائي تزيين اعماله وتضخيمها وتجميلها بكل انواع العطور والمكياج، فان الله يأبى الا ان يفضحه برائحة عمله الفاسد، فلا بد ان تفوح تلك الرائحة العفنة يوماً، يقول الإمام ابن الجوزي : «**ريح الرياء جيفة تتحاماها مسام القلوب**».

هل يوجد اجمل من الاخلاص ؟

وهل يوجد عطر اروع من الاخلاص ؟؟

كيف لا وقد جعله الله احد ابرز شرطين لقبول العمل، لذلك فلا اجمل من عطره

يقول ابن الجوزي : «**الاخلاص مسك مصون في مسك القلب**»

الانسان من غير روح ميت، وكل عمل من غير اخلاص كتب عليه الموت، يقول الإمام ابن الجوزي : «**العمل صورة والاخلاص روح**».

مهما كان حجم الاخلاص صغيرا فان الله يبارك بالعمل، ومهما كان الرياء صغيرا فان الله ينزع البركة منه، فالإخلاص وجود والرياء عدم، كما قال ابن الجوزي : «**الاخلاص اليسير كثير، ووجود عمل الرياء عدم**» وقال: «**خليج صاف انفع من بحر كدر**»

غباء ام غفلة ؟؟ 

الاصل في خلق الانسان وفطرته ان من اعطاك وتفضل عليك تحبه وتفي له، واذا ناداك تسرع في تلبية ندائه، الا ان معظم الناس غير ذلك في تعاملهم مع ربهم، لذلك يقول ابن الجوزي : «**واعجباً لمن عرفك واحب غيرك، ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك**» هل هو غباء ام غفلة ؟



متى تجلس للتفكر ؟

لم يخلق الانسان ليلهو في زينة الدنيا عما خلق من اجله، فيفني حياته كلها في ذلك، ولا يعطي لربه الا فتات وقته، استمع لابن الجوزي يناديك «**يا تائهاً في بوادي الهوى، انزل ساعة في بوادي الفكر، يخبرك بان اللذة قصيرة والعقاب طويل**».

الفاقدون للذة القيام

في الدنيا لذائذ عدة، الا ان اعظم اللذائذ هو القرب الى الله في عباداته، ومن اعظم هذه العبادات ذات اللذة الرفيعة «**قيام الليل**» حيث تناجي رب العزة فينزل في قلبك من اللذة ما

يتناسب مع هذا اللقاء، يقول ابن الجوزي للمفرطين «**بعت قيام الليل بفضل لقمة، شربت كاس النعاس ففاتك الرفقة**».

عشاق الدنيا

ليس الخطأ في حب الدنيا، ولكن المأساة تكمن في تفضيلها على الاخرة، والارتماء في احضانها، والاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس من اجلها، عن مثل هؤلاء يقول ابن الجوزي «**من عامل الدنيا خسر، ومن حمل في صف طلبها كُسِر، وان خلاص محبها منها عسر، وكل عاشقيها قد قيد وأُسر**».

انتكاسة الملتزم

أشد ما يؤلم رؤيتك لانتكاسة الملتزم، وتراجع القدوة، وفتور الداعية، وسقوطهم في أفخاخ ابليس، ها هو ابن الجوزي يتحسر على تراجع امثال هؤلاء فيقول مخاطباً: «**كنتَ في الرعيل الاول، فما الذي ردك الى الساقة ؟**

قف الان على جادة التأسف،

والزم البكاء على التخلف».



نفور القلوب

سبحان الله الذي جعل قلوب الصالحين تشعر بالمخلص من المرائي، فتقبل ذلك المخلص وان كان لا يحسن الحديث، وتنفر من المرائي، وان كان مفوهاً، عليم اللسان، يقول ابن الجوزي : «**كم من متشبه بالمخلصين في تخشعه ولباسه، وافواه القلوب تنفر من طعم مذاقه،واسفا ما اكثر الزور**».

عندما يناقشكم الاخلاص

كم من الاعمال يقوم بها العلماء والخطباء والدعاة والمصلحين يقتلها الرياء، ويحيلها هباءً منثوراً يوم القيامة، يناديهم ابن الجوزي قائلاً لينتبهوا «**يا معاشر العلماء قد كتبتم ودرستم، ثم لو ناقشكم الاخلاص لأفلستم**».

علامات قبول التوبة

لاشك ان هناك علامات لقبول التوبة وصحتها، والتي منها الندم والخوف والقلق والدموع والحرقة على ما اقترفته من الذنوب، يقول ابن الجوزي :

«بضاعة المذنب دمعة

رأس مال المُقِر حزنه

راحة الاواب قلقه

عيشة التواب حرقة».

احوال قُوّام الليل

احوال قوام الليل مع ربهم فيه العجب العجاب عندما يختلون مع ربهم، يقول اين الحوزي: «**لو اشرفت على وادي الدجى، لرأيت خيم القوم على شواطئ انهار الدموع، خَلَوا والله بالحبيب، وطال الحديث، عين تبكي من المحبوب، واخرى تبكي عليه**».

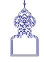
اقرب باب لعفو الرب

يلفت ابن الجوزي انظار المذنبين الى اقرب باب لعفو الرب فيقول: «**يا معاشر المذنبين، تأسوا بابيكم في البكاء، تفكروا كيف باع داراً قد ربي فيها، وضاع الثمن، لا تبرحوا من باب الذل، فأقرب الخطائين الى العفو المعترف بالزلل**».



الخاتمة

هذه تحفة نادرة من القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه الامام ابن الجوزي، فقد جمع في كتابه **(المدهش)** الكثير من مواعظه العميقة، مركزا على غاية الخلق وواجب المخلوق، والعوائق والعوالق التي تمنع سالك الطريق من الوصول والاستقامة على الصراط المستقيم، وبذلت جهدا في شرح عباراته واضافة الفوائد الايمانية والدعوية والتربوية، حتى تكون زادا لرواد طريق الحق، وانا في نهاية هذا الكتاب اتساءل هل سيجد هذا الجهد من يقرأ ؟؟ ان من المحزن ان يصدر هذا الكتاب في زمن تقلصت فيه اعداد القارئين، وحتى القارئين الكثير منهم لا يقرأ سوى الروايات والشعر والخزعبلات، واصبحت كتبنا، يتيمة تنتظر من يلتقطها ويرضعها من حبه وحرصه وهمته، والعهد بالله ان هذه الفئة لن تنتهي من الارض، فهل انت منهم ؟

 فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

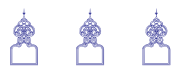
الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
- احوال قُوّام الليل	٢٦٧
- اقرب باب لعفو الرب	٢٦٧
- الخاتمة	٢٦٨
- فهرس الموضوعات	٢٦٩






تم بحمد الله